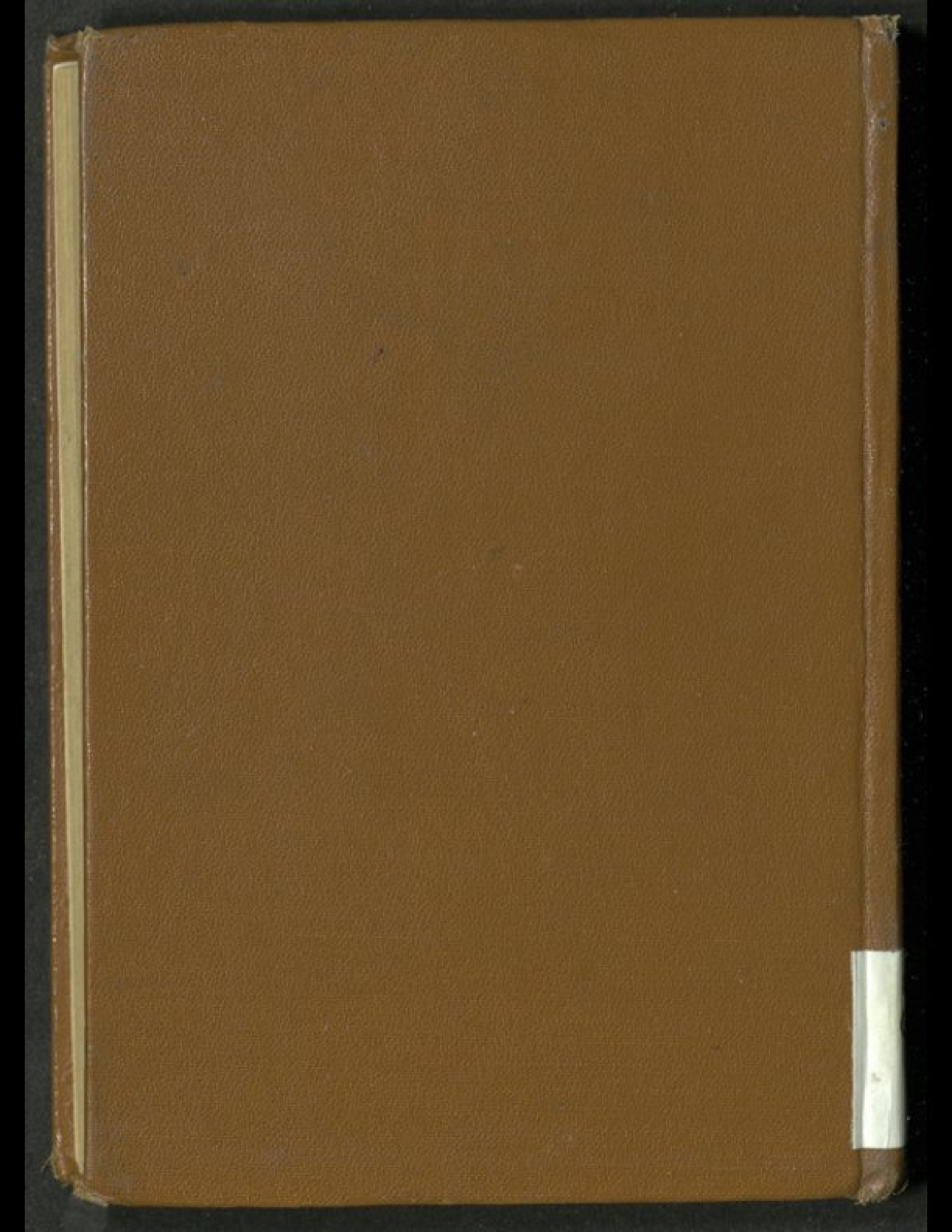
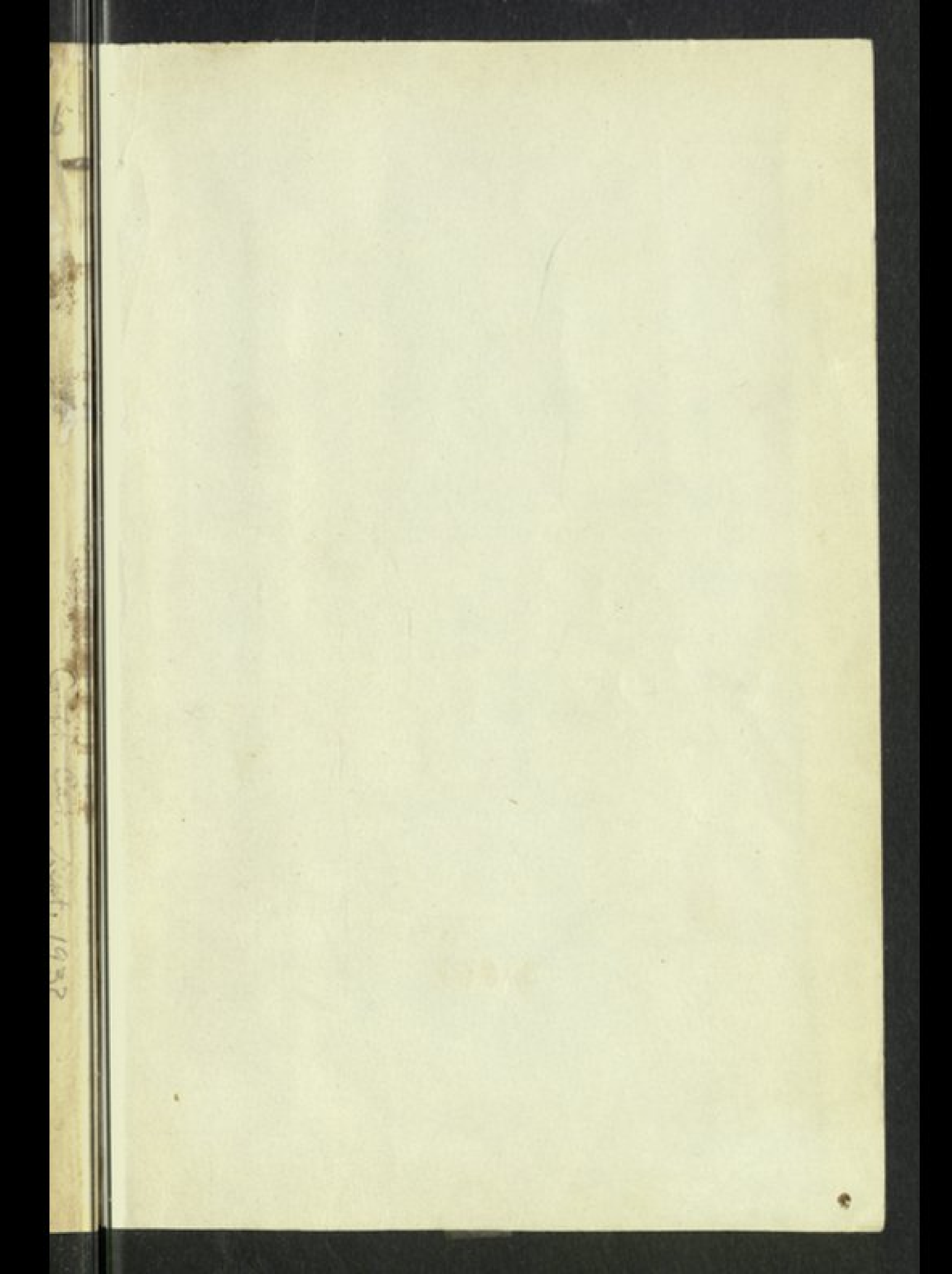




يسوع ابن الانسان

أقواله وأفعاله كما اخبرها ودونها الذين عرفوه

وضعه بالانكليزية فقيد الشعر والفن

المرحوم جبران خليل جبران

تعريب

الارشمندريت انطونيوس بشير

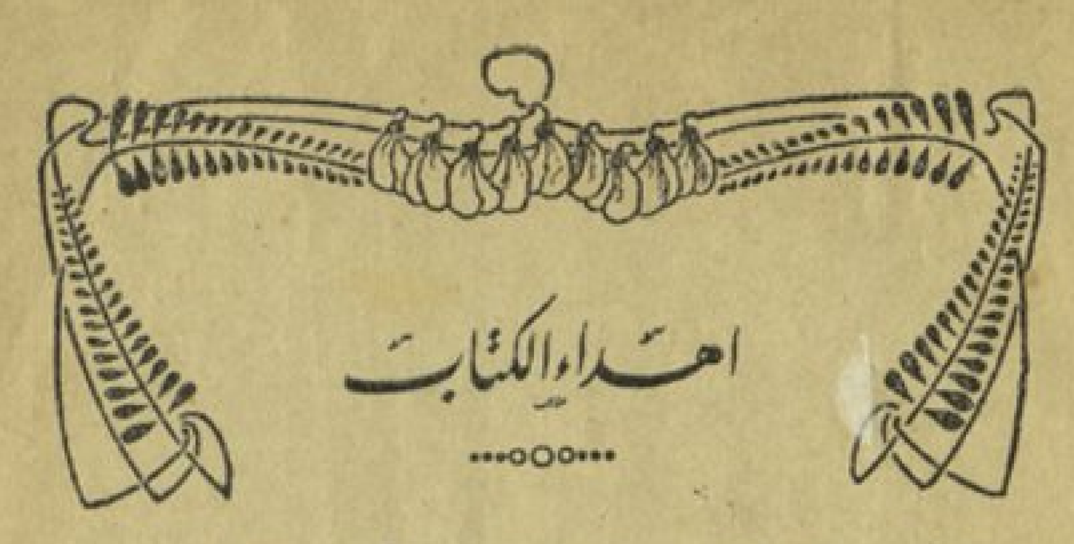
صاحب مجلة الخالدات

(الطبعة الاولى)
سنة ١٩٣٢

المطبعة العصرية

بالفجالة ، بمصر — (ص ب ٩٥٤)

(Printed in Egypt.)
(Elias's Modern Press, Cairo)



اهداء الكتاب

الى الروح التى لم تعرف غير المحبة دستوراً فى حياتها ،
الى القلب الذى كان يحرق شموعه لينير جميع القلوب ،
الى النفس الطاهرة التى احترقت كالبخور الزكى أمام عرش الحق ،
الى العاطفة التى جمعت فى بحرها كل عاطفة نبيلة ،
الى الفضيلة التى كانت عملا صالحاً ولم تقتصر على القول فقط ،
الى الحياة النافعة فى حياتها وفى مماتها ،
الى الشاعر الذى غمس ريشة وحيه بدم قلبه ،
الى الفنان الذى اتخذ ألوان رسومه من دماء حشاشته ،

الى شهيد الفن الحقيقى

جبران خليل جبران

الحي الى الأبد بجلال وحيه وكمال نبوغه ، أهدى هذه الترجمة العربية لكتابه « ابن الانسان »

الأرشمندريت انطونيوس بشير

حزيران سنة ١٩٣١

مشتملات الكتاب

يعقوب بن زبدى

ممالك العالم

فى يوم من ايام الربيع وقف يسوع فى ساحة المدينة فى اورشليم وشرع يخاطب الجموع عن ملكوت السماء .

فاتّهم الكتبة والفريسيين بأقامتهم فخاخًا وحفرهم حفراً فى طريق الراغبين فى الملكوت ؛ موبخاً وزاجراً

وكان بين الجموع رجال يدافعون عن الفريسيين والكتبة ، ففكروا فى أن يقبضوا على يسوع وعلينا جميعاً .

ولكنه تجنبهم وأعرض عنهم سائراً الى البوابة الشمالية للمدينة . وهنالك نظر الينا وقال : « لم تأت ساعتى بعد ، ان هنالك كثيراً سأقوله لكم وكثيراً سأفعله بينكم قبل أن أسلم نفسى للعالم . »

ثم قال وفى صوته رنة الفرح والضحك : « هلم بنا الى الشمال لنلاقى الربيع . تعالوا معي الى التلال ، لأن الشتاء قد ولّى وثلوج لبنان تنحدر الى الاوديه لتترنم مع الجداول .

« قد قضت الحقول والكروم على النوم واستيقظت لتحيي الشمس بتينها الاخضر وعنبها الرقيق . »

وكان يمشى أمامنا ونحن نتبعه كل ذلك اليوم والذى تلاه .

وفى مساء اليوم الثالث وصلنا الى قنة جبل حرمون ، وهنالك وقف ينظر الى مدن السهول .

فاشرق وجهه كأنه الذهب المحترق ، و بسط ذراعيه وقال لنا :

« انظروا الى الارض فى ثوبها الاخضر وتأملوا كيف طرّزت السواقى أهدابه بالفضة اللامعة .

« بالحقيقة أن الأرض جميلة ، وكل ماعليها جميل .

«ولكن وراء كل ماتنظرون ملكوت سأحكمه واسود فيه .فاذا شئتم ورغبتم من قلوبكم فانتم أيضاً ستذهبون اليه وتحكمون معى ،

« ان وجهي ووجوهكم لن تتبرقع فيه ؛ ولن تحمل يدنا لاسيفاً ولا صولجاناً ، وسيُحبّنا رعايانا وسيعيشون بسلام من غير أن يعرفوا خوفاً منا » .

هكذا تكلم يسوع ، أما انا فاننى كنت أعمى عن جمع ممالك الارض وكل المدن ذات الاسوار والقلاع؛ ولم تكن فى قلبى سوى رغبة واحدة - أن اتبع المعلم الى ملكوته .

وفى تلك اللحظة تقدم يهوذا الاسخريوطي ودنا من يسوع وقال له : « تأمل ، ان ممـالك العالم واسعة ، ومدن داود وسليمان ستغلب الرومانيين . فاذا شئت أن تكون ملك اليهود فأننا نقف سيوفنا ورماحنا لتأييدك وفوزك على الغرباء . »

ولما سمع يسوع هذا التفت الى يهوذا وأمائر الغضب تملأ محياه.

وخاطبه بصوت راعب كرعد السماء وقال له : « تخلف عني ياشيطان. أوهل يخطر لك انني جئت فى مواكب السنين لاحكم تلة من النمل يوماً واحداً ؟ .

« ان عرشى يفوق بصيرتك . وهل يمكن أن الذي يحوط الارض بجناحيه ينشد ملجأ فى عش مهجور منسيّ ؟

« أم هل يتشرف الحيّ ويرتفع بواسطة لابسى الاكفان ؟

« إن مملكتي ليست من هذه الأرض ومجلسي لم يُبنَ على جماجم اسلافكم . »

فاذا كنتم تنشدون مملكةً غير مملكةِ الروح فالاجدر بكم أن تتركونى ههنا ، وتنحدروا الى مغاور أمواتكم حيث يعقد ذوو الرؤوس المتوجة منذ القديم مجالسهم فى قبورهم ليعطوا مجداً لعظام جدودكم وأبائكم . »

« كيف تجرؤ أن تجربني بتاج من نفاية المادة فى حين أن جبهتى تنشد إما الثريا وإما أشواككم ؟

« إلا انني لولا حلمٌ حلمه جنس منسي لما كنت آذن لشمسكم أن تشرق على صبرى ولا لقمركم أن يبسط ظلى فى طريقكم .

« ولولا رغبةٌ نقية اختلجت فى قلب أم طاهرة لـكنت جردت نفسى من اقمطتى وهربت راجعاً الى الفضاء .

« ولولا الكآبة التي فى اعماقكم جميعاً لما كنت أقف ههنا للبكاء والنواح .

« فمن أنت وما شأنك يايهوذا الاسخريوطي ؟ ولماذا تجربني ؟

« هل وزنتنى فى الميزان فوجدتنى جديراً بأن أقود جيشاً من الاقزام ، وأدير مراكب من لا شكل له ضد عدو لا يجتمع الا فى بغضكم ولا يهجم إلا فى مخاوفكم وأوهامكم ؟

« كثير هو الدود المجتمع حول قدمى ، ولكننى لن أصليهم ضرباً . قد مللت الهزل والمجون وسئمت نفسى الشفقة على الدبابات التى تحسبني جباناً لأننى لا أتخطر بين أسوارها وقلاعها الحصينة .

« إن من دواعى الشفقة أن اكون محتاجاً الى الرحمة حتى النهاية . وكم أودّ لو كنت قادراً أن ادير خطواتى الى عالم اكبر من هذا العالم حيث يعيش رجال اعظم من رجاله . ولكن كيف افعل ذلك ؟

« ان كاهنكم وامبراطوركم يريدان دمي . وسينالان ضالتهما قبل سفري الى ذلك العالم . اننى لن أغير سير الشريعة ولن أقيد الجهالة .

« دع الجهل يستثمر ذاته حتى يملّ ذرّيته .

« دع العميان يقودون العميان الى الحفرة .

« ودع الموتى يدفنون الموتى حتى تختنق الأرض بأثمارها المريرة .

« ان مملكتى ليست من هذه الأرض . مملكتى ستكون حيث

اجتمع اثنان أو ثلاثة منكم بمحبة ، وباحترام لجمال الحياة ، وبغبطة وبهجة لتذكاري . »

حينئذ التفت الى يهوذا فجأة وقال ، « تخلف عني أيها الرجل. ان ممالككم لن تكون فى مملكتى . »

* * *

وكان الشفق ، فنظر الينا وقال : « فلننزل من هنا ، لأن الليل يدنو منا . فلنسر فى النور مادام لنا النور . »

ثم انحدر من التلال ونحن نتبعه . وكان يهوذا يتبعنا من بعيد .

وعندما وصلنا الى السهول خيّم الظلام .

فقال له توما بن ثيوفانس : «يامعلم، قد دنا الظلام ونحن لانرى الطريق. فاذا شئت سر بنا الى أنوار تلك القرية لعلنا نجد طعاماًومأوى»

أما يسوع فاجاب توما وقال : « قد قدتكم الى الأعالي عند ما كنتم جياعاً ، وها قد انزلتكم الى السهول وقد تضاعف جوعكم . ولكنني لا أقدر ان أقيم معكم فى هـذه الليلة . لأنني أود ان اكون وحدي . »

فتقدم سمعان بطرس وقال : « يامعلم ، لا تتركنا نمشى وحدنا فى الظلام . بل إيذن لنا أن نقيم معك فى هذه الطريق الضيقة . فالليل واشباحه لن تطيل اقامتها معنا ، لأن الصباح سيجدنا قريباً اذا كنت تتعطف وتظل معنا . »

فأجاب يسوع وقال : «فى هذه الليلة ستكون للثعالب أوجارها ولطيور السماء اعشاشها ولكن ابن الانسان ليس له على الأرض موضع يسند اليه رأسه . وانا بالحقيقة أريد الآن أن اكون وحدى ، فاذا تقدم الي فانكم ستجدونى ثانية على البحيرة حيث وجدتكم . »

فانصرفنا عنه وقلوبنا تمزق المًا لأننا لم نشأ أن نفارقه بطوعنا .

وكنا بين الهنيهة والأخرى نقف ونتلفت الى الوراء لنراه فى عظمة وحدته سائراً نحو الغرب .

أما الرجل الوحيد فينا الذى لم يلتفت الى الوراء لينظر المعلم فى كمال وحدته فهو يهوذا الاسخريوطي .

ومن تلك الساعة ساء خلق يهوذا وكثر تلبُّسه . وأظلمت عيناه بسحب كثيفة من الغدر والشر .



حنة أم مريم

ميلاد يسوع

وُلد يسوع حفيدي هنا في الناصرة في شهر كانون الثاني . وفي الليلة التي وُلد فيها يسوع زارنا رجال من المشرق . فقد كانوا أعجاماً جاؤا الى اسدريلون مع قوافل الميديين في طريقهم الى مصر . وإذ لم يجدوا مكاناً في الفندق طلبوا ملجأً في بيتنا .

وقد رحبت بهم وقلت لهم: « ان ابنتي ولدت صبياً في هذه الليلة . وأنتم ولا شك تصفحون عن قصوري اذا لم أقم بواجب الضيافة كما يليق بكم »

فشكروني على قبولهم في منزلي . وبعد العشاء قالوا لي : « نود أن نرى الطفل الجديد . »

وكان ابن مريم جميلَ الصورة ، وهي أيضاً كانت جميلة .

وعندما رأى الأعجام مريم وطفلها ، أخرجوا ذهباً وفضةً من أكمامهم ، ومراً ولباناً وطرحوها كلها على قدمي الطفل .

ثم سجدوا وصلوا بلغة غريبة لم نفهمها .

وعندما ذهبت بهم الى غرفة النوم التي أعددتها لهم دخلوا بملء الاحترام مما رأوا وشاهدوا .

وعند الصباح تركونا وساروا في طريقهم الى مصر.

ولكن قبل انصرافهم قالوا لي: « ان هذا الطفل وان كان ابن يوم واحد فاننا قد رأينا نور إلهنا في عينيه وابتسامة الهنا على شفتيه.

« فنرجو منكم أن تحرسوه بعنايتكم ليحرسكم جميعكم بعنايته. »

واذ قالوا هذا ركبوا جمالهم ولم نرهم بعد ذلك.

أما مريم فلم يكن فرحها ببكرها ليضاهي شدة دهشتها وذهولها أمامه.

فكانت تحدق فيه طويلاً ثم تدير وجهها الى النافذة وتتأمل في السماء البعيدة مندهلة كأنها ترى رؤى سماوية.

وكان بين قلبها وبين قلبي أودية بعيدة العمق.

وكان الصبي ينمو بالجسد والروح، وكان يختلف كل الاختلاف عن جميع أترابه. فكان محباً للوحدة، يصعب الحكم عليه، ولم أقدر أن أضع يدي عليه قط.

بيد انه كان محبوباً من جميع أهل الناصرة، وفي أعماق قلبي عرفت السبب في ذلك.

وكثيراً ما كان يأخذ طعامنا ويعطيه لعابري السبيل. وكلما أعطيته شيئاً من الحلوى كان يعطيه للاولاد رفقائه قبل أن يذوقه بفمه.

وكان يتسلق أشجار البستان ويقطف أثمارها ليحملها الى غيره ممن لا أثمار في بساتينهم.

وكثيراً ما رأيته بعيني وهو يتسابق مع الاولاد، اذ يرى انه

أسرع خُطىً منهم ، يتباطأ في سيره حتى يسبقوه الى المحجة قبل أن يصل هو اليها .

وكان في بعض الليالى عندما أقوده الى فراشه يقول لي : « اخبري امي وغيرها ان جسدي فقط ينام . ولكن فكري سيظل رفيقاً لهم حتى يأتي فكرهم الى صباحي . »

وغير هذا كثير من الآيات العجيبة التى كان يقولها لي في صبوته ، ولكن ضُعف ذاكرتي في شيخوختي يحول دون تذكرها .

واليوم يقولون لي انني لن أراه فيما بعد . ولكن كيف استطيع أن أصدق ما يقولون ؟

انني ما زلت أسمع ضحكه ، وصوتُ وقع أقدامه على أرض الدار لا يفارق اذني . وكلما قبلت وجنة ابنتي أشعر بعطر قبلاته يفوح في قلبي ، وأحسّ بجسده الجميل يتموج بين ذراعي .

ولكن أليس من الغرابة العجيبة ان ابنتي لا تتكلم عن ابنها البكر أمامي أبداً ؟

وكثيراً ما يخطر لي أن شوقي اليه أعظم من شوقها . لأنها تقف شاخصة امام نور النهار كأنها تمثال من النحاس الصامت ، في حين أن قلبي يذوب في صدري ويجري منسكباً كالجداول .

ومن يدري فلعلها تعلم ما لا أعلم . ويا ليتها تحدثني بما تعرف من الاسرار الغامضة عليّ .

« عساف الملقب بخطيب صور »

خطاب يسوع

ما ذا أقول عن خطابه ؟ لا شك أن قوة خفية في شخصيته كانت تسلح كلماته بسحر عجيب فتأخذ بمجامع قلوب سامعيه . لأنه كان جميل الصورة بهيّ المحيا .

وكان الرجال والنساء يحدقون في صورته الكاملة اكثر مما يصغون الى مباحثه . ولكنهُ كثيراً ما كان يتكلم بقوة روح عجيبة، وتلك الروح كان لها السلطان الكامل على كل من سمعه .

قد سمعت في حداثتي خطباء رومة واثينا والاسكندرية . ولكن الناصريّ النذير كان يختلف كل الاختلاف عن جميعهم .

حصر اولئك همهم بترتيب الكلام بصورة تسحر الاذان ، ولكنك اذ تسمع الناصري تشعر بأن قلبك يفارقك في الحال ويسير هائماً في أصقاع لم يزرها أحد بعد .

فهو يقص عليك قصة أو يخاطبك بمثلٍ ، ولكن "سوريه" لم تسمع بمثل قصصهِ وأمثاله في كل تاريخها . لأنه كان يحوك أمثاله وقصصه من خيوط الفصول كما يحوك الزمان نسيجه من خيوط السنين والأجيال .

واليك مثالاً من طريقته في بدء قصصه : « خرج الزارع ليزرع زرعه . »

أو « كان لرجل غني كروم عديدة . »

أو « راعٍ عدَّ خرافه عند المساء فوجد خروفاً ناقصاً . »

ومثل هذه الكلمات تحمل سامعيه الى ذواتهم الساذجة والى أيامهم القديمة الهادئة .

كلنا عند التحقيق زارع ، وجميعنا نعشق الكرمة . وفي مراعي ذاكرتنا يوجد راع وقطيع وخروف ضال ؛

وهنالك أيضاً سكة ومعصرة و بيدر .

أجل ، قد عرف الناصري ينبوع ذاتنا القديمة ، وخبر الخيوط التي حاك القدير نسيجنا منها .

ان خطباء اليونان والرومان خاطبوا الناس عن الحياة فى نظر الفكر . ولكن الناصري تكلم عن حنين كائن في أعماق القلب .

اولئك رأوا الحياة بعيون قد تكون أنقى قليلاً من عينيك وعيني . أما هو فقد رأى الحياة بنور الله .

وكثيراً ما أفكر في انهُ خاطب الجموع كما يخاطب الجبل السهل الوسيع . وكان في خطابه قوة لم تصل اليها أفكار خطباء أثينا ورومه .

——o○o——

مريم المجدلـــية

اجتماعها بيسوع للمرة الاولى

رأيته لاول مره فى شهر حزيران . كان يمشي بين الزروع عندما مررت مع جواريّ ، وكان وحيداً

وكان انتظام وقع خطواته على الارض مختلفاً عن جميع الرجال، وحركة جسمه لم أرَ مثلها قط فى حياتي .

ان الرجال لايمشون على الارض كما مشى هو . والى هـذه الساعة لا ادرى اذا كان يسير بسرعة او ببطء .

وكانت جواريّ تشير اليه باصابعهن ويتهامسن فيما بينهن والحياء يخيم فوقهن . اما انا فوقفت لحظة ورفعت يدى لاحييه . ولـكنه لم يلتفت، ولم يـنظر الى . فبغضتُه جداً . وشعرت بان الدم ينشف فى عروقي من شدة الغيظ ، وفارقتني حرارة جسدى حتى صرت باردة كأنما انا فى عاصفة من الثلج هوجاء . وكنت ارتجف بكليتي .

وفى تلك الليلة رأيـته فى منامي، وقد اخبروني فيما بعد انني كـنت اصرخ صُراخاً شديداً فى نومي ، ولم اعرف طعم الراحة فى فراشي في تلك الليلة.

ثم رايته ثانية فى شهر آب، وكان ذلك من خلال نافذتي. فكان

جالساً فى ظل سروة امام بستانى، وكان هادئاً كانه تمثال منحوت من الحجارة ، كالانصاب التى رأيتها قبلاً فى انطاكية وغيرها من مدن الشمال.

فى تلك الدقيقة جاءت خادمتى المصرية وقالت لى : « ان ذلك الرجل هو هنا ثانية . وهو جالس هنالك امامَ بستانك . »

فحدقت فيه طويــلا، فارتعشت نفسى فى اعماقى، لانه كان جميلاً.

كان جسمه فريداً ، وقد تناسبت اعضاؤه حتى خيل اليّ ان كلاً منها مسحور بحب رفيقه.

وفى الحال لبست افخر اثوابى الدمشقية، وتركت بيتى وسرت اليه .

هل دفعتنى وحدتي ، ام طيب شذاه حملني اليه ؟ وهل مجاعة عيني الراغبة في الجمال أو جماله ، الذى كان يفتش عن النور فى عيني؟ انني حتى الساعة لا أعلم.

مشيت اليه باثوابي المعطّرة وحذائى الذهبي الذى اعطانيه القائد الروماني، نعم ذلك الحذاء بعينه ! وعندما وصلت اليه قلت له: «انعم صباحاً.»

فقال: « نعمت صباحاً يامريام»

ثم نظر الىّ ، فرأتُ فيّ عيناه السوداوان ما لم يرهُ رجل قبله، فشعرت فجأة كانني عارية وخجلت في ذاتي .

بيد انه لم يقل سوى : « نعمت صباحاً . »

حينئذ قلت له : « افلا تريد ان تدخل الى بيتى ؟ »

فقال : « اما انا الآن فى بيتك ؟ »

انني لم اعلم ما عناه آنئذٍ ، ولكنني اعلم الآن .

فقلت له : « افلا تريد ان تشرب الخمر وتكسر الخبز معى » ؟

فاجاب : « نعم ياميريام . ولكن ليس الان . »

ليس الان ، ليس الان ، هكذا قال لى . وكان صوت البحر في هاتين الكلمتين ، وصوت الريح والاشجار . وعندما قالها لى تكلمت الحياة مع الموت

فاذكر ياصاح ولاتنس انني كنت ميتة . فقد كنت امرأة طلقت نفسها . وكنت اعيش بعيدةً عن هذه الذات التي تراها الان . فقد اختصصت بجميع الرجال، ولم اختص باحد. فكانوا يدعونى عاهرة وامرأة فيها سبعة شياطين . وكنت ملعونةً من الجميع، ومحسودةً من الجميع .

ولكن عندما نظر فجر عينيه الى عينى غابت جميع كواكب ليلي وصرتُ ميريام ، ميريام فقط، امرأة ضاعت عن الارض التي عرفتها ووجدت نفسها في اماكن جديدة .

ثم قلت له ثانية: « هلمّ الى بيتي وشاركني بخمرتي وخبزي .»

فقال: « لماذا تلحين على ان اكون ضيفك؟»

فقلت : « اتوسل اليك ان تدخل الى بيتي .» وكان كل مابي من الارض وكل مابي من السماء يناجيه ويدعوه .

حينئذ نظر اليّ ، فاشرقت ظهيرة عينيه على روحي، وقال:» ان لك كثيرين من المحبين، بيد انني انا وحدي احبك. فان بقية الرجال يحبون انفسهم في قربك ، اما انا فاحبك في نفسك. ان بقية الرجال ينظرون فيك الى جمال يذوي قبل انتهاء سنيهم. اما الجمال الذي اراه انا فيك فانه لن يزول، وفي خريف ايامك لن يخاف ذلك الجمال ان ينظر الى ذاته في مرآة ، ولن يقدر أحد ان يعيبه .

«انا وحدي احب ما لا يُرى فيك »

ثم قال بصوت واطىء:« امضي في طريقك الان . واذا كانت هذه السروة لك ولا تريدين ان اجلس في ظلها ، فانا ايضاً اسير في طريقي .»

فتوسلت اليه بدموع قائلة .«يامعلم ، ادخل الى بيتي. ان لديّ بخوراً احرقه امامك ، وطستاً من الفضه لغسل قدميك . انت غريب ولكنك لست بالغريب ! لذلك اتضرع اليك ان تدخل الى بيتي »

في تلك اللحظة وقف ونظر اليّ كما تنظر الفصول الى الحقل وتبسم وقال ثانيةً :« ان جميع الرجال يحبونك لاجل ذواتهم. اما انا

فاحبك لاجل ذاتك : »

قال هذا وسار في طريقه .

ولـكن ما من رجل مشى مشيته قط . هل ولدت في بستاني نسمة علوية ثم سارت الى الشرق ؟ ام هي عاصفة جاءت تزعزع كل شيء لتردّه الى أسُسه الاصلية ؟

انني لم اعلم . ولـكن في ذلك اليوم ذبح غروب عينيه الوحش الذي كان فيَّ ، فصرت امرأةً ، صرتُ ميريام ، ميريام المجدلية .



فيليمون الصيدلى اليونانى

يسوع أمير الاطباء

كان الناصرىُ سيدَ الاطباء فى شعبه . وما من رجل غيره عَرف ماعرفه هو عن أجسادنا وعناصرها ومحتوياتها .

فقد ابرأ الناس من امراض غريبة لم يعرفها اليونانيون ولا المصريون .

يقولون انه أقام الاموات من القبور . واذا كان هـذا حقيقياً أم لا ، فانه يظهر قوته لأنْ أعاظم الأمور لا يُمكن ان تُنسَبْ إلا لمن يقوم بالامور العظيمة .

ويقولون أيضاً ان يسوع زار الهند وبلاد مابين النهرين ، وأن الكهنة الذين كانوا فى تلك البلاد أعلنوا له المعرفة المخفيّة فى اعماقنا .

ولكن من يدري ،فقد تكون الالهة منحته تلك المعرفه مباشرة وليس بواسطة الكهنة . لأن الذى تخفيه الالهة عن جميع الناس جيلا كاملا ، كثيراً ماتعلنه لرجل واحد في لحظة واحدة . وأبولو اذا وضع يده على قلب المجهول الوضيع جعله حكيماً رفيعاً .

ان أبواباً كثيرة قد فُتِحَت لابناء صور وتيبت ، وهنالك كثير من الأبواب التى كانت موصدة ومختومة فانفتحت أمام هذا الرجل . فقد دخل الى هيكل النفس ، الذى هو الجسد ، ورأى الأرواح

الشريرة التى تتآمر على قوتنا وبأسنا كما رأى الارواح الصالحة التى تغزل خيوطها .

وفى عقيدتي انه كان يشفى المرضى على سبيل المقاومة والمعارضة ولكن الطريقة التى اتخذها لنفسه لم تكن معلومة لدى فلاسفتنا . فكان يدهش الحمى بملامسته الجليدية فترتد هاربة ، ويذهل الاعضاء اليابسة بقوة هدوئه العجيب فتطيعه وتعود الى سلامتها .

أجل ، قد عرف الناصرى العصارة الزائلة فى قشرة شجرتنا المتشققة – ولكن كيف اتصل الى تلك العصارة باصابعه ؟ ذلك ما لا أعرفه ! وعرف الفولاذ الصحيح تحت الصدأ – ولكن ما من رجل يقدر أن يحدثنا كيف حرّر السيف من صدأه وأعاد اليه بريقه.

كثيراً ما يخطر لي أنه كان يصغى الى اعمق الآلام التى فى جميع الكائنات الحية أمام الشمس، فيعمد فى الحال الى رفعها ومساعدتها، ليس بمعرفته فقط، بل باظهار طريق قوتها لتنهض من آلامها صحيحة سالمة .

بيد أنه لم يعبأ قط بمقدرته كطبيب . بل كان جل همه معالجة المواضيع الدينية والسياسية فى هذه البلاد . وأنا متألم لأجل هذا، لأننا قبل جميع الاشياء يجب أن نكون أصحاء الاجساد .

ولكن هؤلاء السوريين ، اذا أصابهم مرض لا يفتشون عن الدواء بل ينشدون المباحثة والمجادلة . ومصيبتهم الكبرى أن اعظم أطبائهم أعرض عن فنه المفيد واختار أن يكون خطيباً فى ساحة المدينة

سمعان بطرس

دعوته مع أخيه

كنت على شاطئ البحيرة عندما رأيت يسوع ربي ومعلمي لاول مرة

وكان اخي اندراوس معي ، وكنا نلقي شبكتنا فى المياه .

وكانت الامواج طاغية هائجة ولذلك لم نمسك الا قليلا من السمك . وكان الحزن يملأ قلبينا .

فوقف يسوع بقربنا فجأة كأنه تكوّن في تلك اللحظة ، لأننا لم نرَهُ يدنو منا .

ثم دعانا كل باسمه وقال : « اذا تبعتماني فاني أقودكما الى مدخل في الشاطئ حافل بالاسماك . »

واذْ نظرتُ الى وجهه سقطت الشبكة من يديّ ، لأن نوراً أشرق في أعماقي فعرفته .

فتكلم أخي اندراوس وقال له : « نحن نعرف جميع مداخل هذه الشواطئ ، ونعرف أيضاً أن الاسماك في مثل هذا اليوم الكثير الرياح تنشد أعماقاً لا تصل اليها شباكنا . »

فأجاب يسوع وقال: « اتبعاني اذن الى شواطىء البحر الاعظم فأجعلكما صيادي الناس . ولن تكون شبا ككما فارغة . »

فتركنا سفينتنا وشبا كنا وتبعناه .

أما أنا فقد تبعته مسوقاً بقوة غير منظورة كانت تسير معه جنباً الى جنب .

وكنت أمشي الى جانبه منقطع النفس والعجب آخذ مني كل مأخذ ، وكان أخي اندراوس وراءنا متحيراً منذهلاً .

وفيما نحن نمشي على الرمل تشجعت وقلت له : « يا سيد ، أنا وأخي سنتبعك ، وحيث سرت فنحن نسير معك . ولكن اذا حسن لديك أن تذهب معنا الى منزلنا في هذه الليلة فاننا نتبارك بزيارتك . ان بيتنا ليس كبيراً وسقفنا ليس عالياً ، وستأكل طعاماً حقيراً فيه . بيد أنك اذا دخلت الى كوخنا فانه يصير قصراً في عقيدتنا . واذا كسرت الخبز معنا ، فان أمراء الأرض يحسدوننا على جلوسنا في حضرتك . »

فقال لي : « نعم ، سأكون ضيفكم في هذه الليلة . »

فطار قلبي فرحاً من جوابه . وهكذا سرنا وراءه صامتين حتى وصلنا الى البيت .

وعندما وقفنا على عتبة الباب قال يسوع : « سلام لهذا البيت وللساكنين فيه . »

ثم دخل ونحن نتبعه .

وهنالك رحبت به زوجتي وحماتي وابنتي ، وخررن ساجدات أمامه وقبلن أطراف أكمامه .

وكنّ متحيرات كيف أنه وهو المختار الحبيب يأتي ليكون ضيفنا، لأنهن كن رأينه قبلاً في نهر الأردن عندما أعلنه يوحنا للشعب .

وفي الحال شرعت زوجتي وحماتي في تهيئة العشاء .

أما أخي اندراوس فكان حيياً بطبيعته ، ولكن إيمانه بيسوع كان أعمق من إيماني .

وأما ابنتي التي كانت آنئذٍ في الثانية عشرة من العمر فانها وقفت الى جانبه وأمسكت طرف ثوبه خوفاً منها أن يتركنا ويسير في الليل ثانية . فكانت متعلقة به كأنها خروف ضال وجد راعيه .

وعند تمام العشاء جلسنا الى المائدة فكسر الخبز وسكب الخمر ، والتفت الينا وقال : « أيها الأصدقاء ، باركوني الآن وشاركوني في هذا الطعام ، كما أن الأب قد باركنا بأعطائه لنا . »

قال هذه الكلمات قبل أن يتناول كسرةً واحدة ، لأنه أراد أن يحافظ على العادة القديمة ، ان الضيف المحترم يصير رب المنزل .

واذ جلسنا معه حول المائدة شعرنا في أعماقنا بأننا جالسون الى وليمة الملك العظيم .

وكانت ابنتي بترونيلة ، الصغيرة والجاهلة ، تتأمل في وجهه وتتبع بنظراتها حركات يديه . وكانت سحابة من الدموع تغشى عينيها .

وعندما ترك المائدة تبعناه وجلسنا حواليه تحت خيمة الدوالي .

وكان يخاطبنا ونحن نصغي اليه وقلوبنا تخفق في أعماقنا كالعصافير .

فقد تكلم عن المجيء الثاني للانسان ، وعن فتح ابواب السماء ، وعن الملائكة النازلين لحمل السلام والمسرة لجميع الناس ، وعن الملائكة الصاعدين لحمل تشوقات الناس للرب الاله .

في تلك الدقيقة نظر الى عيني وحدّق في أعماق قلبي وقال : « قد اخترتك أنت وأخيك فيجب أن تذهبا معي . قد اشتغلتما وتعبتما وها أنا أريحكما . احملا نيري وتعلما مني ، لأن قلبي ممتلىء بالسلام ، وستجد فيه نفسكما موطنها وكال حاجاتها . »

وعندما قال هذا وقفت أنا وأخي أمامه وقلتُ له : يا معلم ، سنتبعك الى أقاصي الارض . ولو كان حملنا ثقيلاً كالجبال فاننا سنحمله في طريقنا الى السماء ، فنقبل كل هذا برضى وقناعة »

ثم قال له أخي اندراوس : « يا معلم ، نود أن نكون خيوطاً بين يديك ونولك . فلك اذا شئت أن تحوك منا قماشاً ، لأننا نعلم أننا نكون في ثوب الكلي الرفعة . »

فرفعت زوجتي رأسها وقالت والدموع تملأ وجنتيها من شدة

الفرح، «مبارك انت الآتي باسم الرب. طوبى للبطن الذي حملك والثدي الذي أرضعك.»

وكانت ابنتي جالسة عند قدميه تضمهما الى صدرها.

أما حماتي التي كانت جالسة الى عتبة الباب فانها لم تقل كلمة قط. ولكنها كانت تبكي بهدوء حتى امتلأ وشاحها من الدموع.

فمشى يسوع اليها ورفع رأسها وحدق في عينيها وقال لها: «انت أم جميع هؤلاء الاصحاب. انك تبكين الآن من الفرح، ولذلك سأحفظ دموعك في ذاكرتي.»

حينئذ طلع البدر الجميل علينا فنظر اليه يسوع هنيهة وقال لنا: «قد تأخرنا في سمرنا. فاذهبوا الى فرشكم وليرافق الرب راحتكم. أما أنا فأظل في هذه المظلة حتى الفجر. قد القيت شبكتي في هذا اليوم فاصطدت رجلين، وأنا راض عن صيدي، فاستودعكم الآن وأرجو لكم ليلة سعيدة.»

فقالت له حماتي، «قد أعددنا لك فراشاً في المنزل فأتضرع اليك أن تدخل وتستريح.»

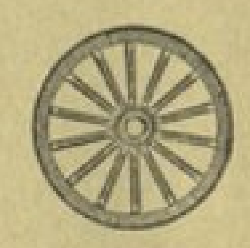
فأجابها قائلاً: «انني أريد الراحة بالحقيقة، ولكن ليس تحت السطوح. فاسمحوا لي أن أنام الليلة تحت مظلة الدوالي والنجوم.»

فأسرعت وأخرجت الفراش والوسادة واللحاف. فنظر اليها متبسماً وقال: «ها أنا اتكئ على فراش قد صنع مرتين!»

حينئذ تركناه ودخلنا الى البيت ، وكانت ابنتي آخر من تركه ودخل . وكانت عيناها تنظران اليه حتى أغلقت الباب .

هكذا عرفت ربي ومعلمي لاول مرة .

ومع أنه مرّ على هذا أعوام عديدة فانني أذكره كأنما حدث لي في هذا اليوم .



« قيافا رئيس الكهنة »

قد قتلناه بضمير نقي

يجدر بنا إذ نتكلم عن ذلك الرجل يسوع وعن موته أن نذكر حقيقتين بارزتين : سلامة التوراة في أيدينا ، وسلامة المملكة في أيدي الرومانيين .

ولكن ذلك الرجل كان خطراً علينا وعلى رومية . فقد سمّم أفكار الشعب البسيط ، وقادهم بسحر عجيب الى الثورة علينا وعلى القيصر .

ان عبيدي أنفسهم ، الرجال منهم والنساء ، بعد أن سمعوه يخطب في ساحة المدينة ، امتلأوا بروح التمرد والعصيان . وكثيرون منهم تركوا منزلي ورجعوا الى الصحراء التي قدموا منها .

ولا تنسَ ايها القارىء أن التوراة هي أساس قوتنا وقبة نصرنا . وما من رجل يقدر أن يهلكنا طالما أن هذه القوة بأيدينا لنغلّ يده . وما من رجل يستطيع أن يخرب أورشليم وجدرانها قائمة على الحجر القديم الذي وضعه داود بيده .

فاذا كان لزرع ابراهيم أن يعيش وينمو فان هذه الارض يجب أن تظل نقية .

وذلك الرجل يسوع كان يحب أن ينجسها بالمعصية . لذلك قتلناه بضمير بصير بالعواقب ونقي . وسنقتل كل من يجرؤ أن ينجس شريعة موسى أو يضلل ميراثنا المقدس .

نحن وبيلاطس البنطي عرفنا الخطر الذي كان فى ذلك الرجل، ولذلك رأينا من الحكمة أن نضع حداً لحياته .

وأنا باذل قصاراي لأنزل بأتباعه وبتعاليمه نفس ما أنزلته به .

اذا كانت اليهودية تود أن تعيش فان كل من يقاومها يجب أن يصير الى التراب . وقبل أن تموت اليهودية سأغطي رأسي الأبيض بالرماد كما فعل صموئيل النبي ،وسأمزق هذه الحلة المقدسة التي كانت لهرون والبس المسوح حتى أسير من هنا الى الأبد .



يوناً امرأة حافظ هيرودس

في الأولاد

لم يتزوج يسوع قط ولكنه كان صديقاً للنساء ، فقد عرفهن كما يجب أن يعرفهن الجميع في الصداقة النقية .

وكان يحب الاولاد كما يجب أن يحبهم الناس بالايمان والفهم .

وكان في نور عينيه حنان الأب ومحبة الشقيق ولهفة الابن .

فهو يحمل صبياً صغيراً ويضعهُ على ركبتيه ويقول : « بمثل هذا قوتكم وحريتكم ؛ وبمثل هذا تتكوّن ملكوت الروح . »

يقولون ان يسوع لم يعبأ بشريعة موسى ، وانه كان كثير الصفح عن الزواني في اورشليم والبلاد المحيطة بها .

وأنا نفسي كنت في ذلك الوقت زانية في نظر الناس ، لأنني أحببت رجلاً لم يكن زوجاً لي ، وكان صدوقياً .

وفي أحد الأيام جاء الصدوقيون الى بيتي وكان عشيقي معي ، فقبضوا عليّ وحبسوني ، أما عشيقي فهرب وتركني .

ثم قادوني الى ساحة المدينة حيث كان يسوع يعلم الجموع .

وكانوا يرغبون في تقديمي اليه ليجربوه ويصطادوه بفخاخهم .

ولكن يسوع لم يحكم عليّ. فقد ألبس العار لمن جاؤا بي ليلبسوني ثوب العار، وأوسعهم لوماً وتوبيخاً.

أما أنا فانه أطلقني بسلام.

وبعد ذلك صارت جميع أثمار الحياة التي لا طعم لها لذيذة في فمي، والورود التي لا عطر لها صارت منبعثاً للعطر الجميل في منخري. فصرت أمرأة لا تعرف الذكرى الفاسدة — أجل — صرت حرة، ولم يعد رأسي منحنياً.



رفقه

عروس قانا

حدث هذا قبل ان عرفه الشعب:

كنت في بستان امي اتعهد الورود عندما وقف يسوع امام بوابتنا.

فقال، «انا عطشان. أتتفضلين علي بقليل من ماء بئركم؟»

فركضت واحضرت الكأس الفضية وملأتها ماء وسكبت فيها بضع نقط من قارورة الياسمين.

فشرب وتملأ وكان مسروراً.

ثم نظر في عيني وقال لي: «فلتحل عليك بركتي.»

وعندما قال هذا شعرت بان ريحاً علوية تسير في جسدي. ففارقني ما تولاني من الحياء عند رؤيته فقلت: «ياسيدي، انني مخطوبة لرجل من قانا الجليل. وسأُزَفُّ اليه في اليوم الرابع من الاسبوع المقبل. افلا تريد ان تحضر الى عرسي فتبارك زواجي بحضورك؟»

فاجاب وقال، «ساحضر يا ابنتي»

وما انسى قوله لي «يا ابنتي» في حين انه كان شاباً بعد، وانا كنت في نحو العشرين من العمر.

ثم سار في طريقه.

اما انا فبقيت واقفة امام بوابة البستان حتى دعتني امي الى البيت.

وفي اليوم الرابع من الاسبوع التالي اخذني اهلي الى بيت عروسي وزفوني اليه .

وجاء يسوع تصحبه امه واخوه يعقوب .

وكانا جالسين حول مائدة العرس مع ضيوفنا ، ورفيقات صباي ينشدن لي اغاني الاعراس التي نظمها سليمان الملك . وكان يسوع يأكل من طعامنا ويشرب من خمرتنا ويتبسّم لجميع الحاضرين.

وكان يصغي الى جميع اناشيد المحبِّ الذي يحضر محبوبته الى خيمته، واغاني الكرّام الشاب الذي احبّ ابنة ربّ الكرم وقادها الى بيت امه، والامير الذي رأى الفتاة الفقيرة فحملها الى مملكته وتوجها بتاج ابائه.

ويلوح لي انه كان يصغي الى اناشيد اخرى غير هذه لم اقدر انا أن اسمعها.

وعند غروب الشمس جاء والد العروس الى ام يسوع وأسرّ اليها قائلاً : « لم يبق عندنا خمر لضيوفنا. ويوم العرس لم ينته بعد.»

فسمع يسوع ما اسرّ به الرجل الى امه وقال، «ان ساقي الخمرة يعرف انه لا يزال عندكم خمر كثير . »

وهكذا كان بالحقيقة - فان الخمر وجدت بكثرة طيلة اقامة الضيوف في منزلنا.

حينئذ شرع يسوع يخاطبنا. فكان يحدثنـا بعجائب الارض والسماء. ويشرح لنا عن ورود السماء التي تزهر عندما يمد الليل بساطه على الارض، وعن ورود الارض التي تزهر عندما تختفي الكواكب في نور النهار.

وكان يقص علينـا قصصاً وامثالاً، فيأخذ سحر صوته بمجامع قلوبنا فنحدق بعينيه كأننا نرى رؤى سماوية متناسين الكأس والصحفة امامنا.

وكنت اشعر وانا اصغي اليه انني في ارض قصية مجهولة.

وبعد هنيهة قال احد الضيوف لوالد عروسي، «قد ابقيت الخمر الجيدة الى اخر الوليمة. وغيرك من المضيفين لا يفعلون هذا.»

وجميع الذين كانوا في البيت آمنوا ان يسوع اجترح اعجوبة، وانه يجب ان تكون لهم خمرة في اخر وليمة العرس اطيب من الخمرة التي تقدم في بداءته.

وانـا ايضاً ظننت ان يسوع سكب الخمرة الجيدة، ولكنني لم اتعجب، لانني كنت قد اصغيت الى كثير من العجائب في صوته.

وقد ظل صوته بعد ذلك قريباً من قلبي حتى ولدت ابني البكر

وحتى اليوم يتحدث الناس في قريتنا وفي القرى المجاورة بكلام ضيفنا العزيز. وهم يقولون ابداً «ان روح يسوع الناصري هي افضل خمرة واعتقها.»

فيلسوف فارسي في دمشق

الآلهة قديماً وحديثاً

انني لا اقدر ان انبيء بمصير هذا الرجل، ولا استطيع ان اتنبأ بما سيحدث لتلاميذه .

فان البزرة المختفية في قلب التفاحة هي شجرة غير منظورة. ولكن اذا سقطت تلك البزرة على صخرة فانها ولا شك صائرة الى لا شيء

ولكنني اقول هذا: ان الاه اسرائيل العتيق الايام قاس لايعرف الرحمة. ولذلك يجب ان يكون لاسرائيل الاه جديد : الاه لطيف رحوم ينظر اليهم باللين والشفقة، الاه ينحدر مع اشعة الشمس ويسير على طريق حدودهم الضيقة، عوضاً عن الههم القديم الجالس ابداً في كرسي القضاء يزن اغلاطهم ويقيس مساوئهم .

يجب ان يكون لاسرائيل الاه لا يعرف الحسد سبيلاً الى قلبه، ولا يحتفظ بذاكرته بالكثير من سيئاتهم ، الاه لا ينتقم منهم بافتقاد ذنوب الاباء بالابناء الى الجيل الثالث والرابع

فالانسان في سورية هو كاخيه الانسان في كل مكان. فهو ينظر الى مرآة فهمه وهنالك يجد الاهه . فهو يصنع الالهة على صورته ومثاله ويعبد كل ما تنعكس فيه صورته.

ألا إنّ الانسان بالحقيقة يصلي الى حنينه العميق لينهضَ ويكمّل مجموع رغباته .

ليس في الوجود شيء أعمق من نفس الانسان ، والنفس هي العمق الذي ينشد ذاته ، لأنه ليس ثمت صوت آخر ليتكلم ولا آذانٌ أخرى لتسمع .

ونحن أنفسنا في بلاد فارس ننظر الى وجوهنا في قرص الشمس ونرى أجسادنا راقصة في النار التي نشعلها على مذابحنا .

وفي عقيدتي أن إله يسوع ، الذي دعاه أبًا ، لن يكون غريبًا بين شعب هذا المعلم ، ولذلك سيحقق رغباتهم .

ان آلهة مصر قد ألقوا عنهم أحمال الحجارة وهربوا الى برية نوبية ليكونوا أحراراً بين الذين ما برحوا أحراراً من المعرفة .

وآلهة اليونان ورومة تسير شمسهم الى الغروب . فقد كانوا كثيري الشبه بالناس ولذلك لم يقدروا أن يعيشوا في تأملات الناس . والغابات التي نشأ فيها سحرهم قطعتها فؤوس الأثينائيين والاسكندريين .

وفي هذه الأرض أيضاً نرى الأماكن الرفيعة تتحول رفعتها الى ضعة متشرعي بيروت ونسّاك أنطاكية .

فلا ترى غير الشيوخ والمتعبين من النساء والرجال يسيرون الى

هيا كل أبائهم وأجدادهم ، ولا ينشد بداءة الطريق الا الذين ضلوا في آخرها .

ولكن هذا الرجل يسوع ، هذا الناصري العجيب ، قد تكلم عن إلاه يسع في ملئه جميع النفوس ، وقد تعاظمت معرفته حتى سمت عن العقوبة ، وتسامت محبته حتى ترفعت عن ذكر خطايا خلائقه . والاه الناصري هــذا سيجوز بعتبة جميع أبناء الأرض ، وسيجلس الى مواقدهم ، وسيكون لهم بركة داخل جدرانهم ونوراً في طريقهم .

بيد أن لي إلهاً هو إلاه زوروســتر ، الاله الذي هو شمس في السماء ونارٌ على الأرض ونور في حضن الانسان . وأنا راض به ، ولا حاجة بي الى إلاه سواه .



داود أحد أتباعه

يسوع العملي

إنني لم أعرف معنى خطبه وأمثاله حتى فارقنا . نعم أنا لم أفهم شيئاً من أقواله حتى اتخذت كلماته أشكالاً حية أمام عيني وكونت ذواتها بأجساد تمشي في مواكب أيامي .

واليكم ما حدث لي : كنت في احدى الليالي جالساً في بيتي . أتأمل وأتذكر كلماته وأعماله لأدونها في كتاب ، فدخل ثلاثة لصوص الى بيتي . ومع انني عرفت أنهم جاؤوا ليسرقوا ما عندي ، فانني كنت مأخوذاً بالايمان بما كنت أفكر فيه الى هذه الدرجة حتى انني لم أقاومهم لا بالسيف ولا سألتهم « ماذا تفعلون هنا ؟ » ولكنني واظبت على كتابة مذكراتي عن المعلم .

وعندما انصرف اللصوص ذكرت قوله : « من طلب رداءك فأعطه الثوب أيضاً . »

وفهمت معناه .

وعندما جلست أدون أقواله لم يكن في الارض رجل يستطيع أن يحولني عن عملي ولو سرق كل مقتنياتي .

لانني على شديد محبتي لحماية مقتنياتي ، وحماية ذاتي ، فأنا أعرف أين هذا الكنز الاعظم .

﴿ لوقا ﴾

في المرائين

قد احتقر يسوع المرائين و بالغ في تعنيفهم ، وكان غضبه ينقض عليهم انقضاض العاصفة . وكان صوته رعداً في أذانهم ترتعش لهوله قلوبهم .

وقد طلبوا موته لشدة خوفهم منـــه ، وكانوا كالمناجذ في ظلمة الارض يعملون على هلاك خطواته . ولكنه لم يسقط في فخاخهم .

فكان يضحك منهم ، لأنه عرف جيداً أن الروح يجب ألاّ يُهزَأ بها والاّ يُسار بها الى الحفرة .

وكان يمسك مرآة بيده وهنالك يرى الكسالى والعرج والعاثرين والساقطين في جوانب الطريق وهم يسيرون الى القمة .

فأشفق على الجميع . ورغب في أن يرفعهم الى ملء قامته ويحمل أثقالهم . أجل ، فقد تمنى كثيراً لو تتكئ ضعفاتهم على ذراع قوته .

لم يكن شديد الوطأة في حكمه على الكذاب أو اللص أو القاتل ، ولكنه قضى قضـاء مبرماً على المرائين الذين يبرقعون وجوههم ويغطون أيديهم .

كثيراً ما وقفت مفكراً في ذلك القلب الذي كان يقتبل جميع القادمين من صحراء الحياة الى مقدسه العظيم فيهبهم راحة وملجأ، ولم يغلق بابه الا في وجوه المرائين فقط .

حدث مرة فيما نحن جالسون معه في بستان الرمان انني قلت له، « يا معلم ، انت تصفح عن الخطاة وتعزي جميع الضعفاء والسقماء ولا ترفض الا المرائين . »

فقال لي « قد وضعت كلماتك في مواضعها عندما دعوت الخطاة ضعفاء وسقماء . نعم أنا أصفح عن ضعف أجسادهم وسقم أرواحهم . لأن قصورهم عن القيام بواجبهم قد وضع حملاً على اكتافهم اما من آبائهم أو من جيرانهم .

« غير أنني لا أحتمل المرائين ، لأنهم يضعون النير الثقيل على رقاب المخلصين والطائعين . »

« أما الضعفاء، الذين تسميهم خطاة ، فهم كالفراخ التي لا ريش لها الساقطة من العش . ولكن المرائي نسرٌ جالس على صخرة يتوقع فريسة بريئة لينقض عليها .

« الضعفاء هم رجال ونساء ضائعون في صحراء . ولكن المرائي غير ضائع . فهو يعرف الطريق ولكنه يضحك بين الرمال والرياح .

« لأجل هذا لا أقبل المرائين في شركتي . »

هكذا تكلم معلمنـا ، فلم أفهم معنى كلامه في ذلك الوقت . ولكنني أفهم اليوم .

لذلك اجتمع المراؤون في البلاد والقوا القبض عليه وحكموا بقتله ظانين أنهم مبررون بعـدائه لهم . وكانوا يقربون شريعة موسى في مجمع اليهود شهادةً وبيّنة ضده .

ان الذين يكسرون الشريعـة عند بزوغ كل فجر ثم يكسرونها ثانية عند غروب كل شمس هم الذين عملوا على موته .



متى

العظة على الجبل

في أحد أيام الحصاد دعانا يسوع وفريقاً من أصدقائه الآخرين الى التلال . وكانت الأرض تفوح بعطرها وقد تزينت بأبهى حلاها كأنها ابنة ملك عظيم في يوم زفافها . وكانت السماء عروساً لها .

وعندما وصل الى الاعالي وقف في غابة الغار والهدوّ يجلّل طلعته البهية وقال : « استريحوا هنا وافتحوا نوافذ افكاركم ودوزنوا أوتار قلوبكم لأن لديّ كثيراً أقوله لكم » .

فاتكأنا على بساط العشب تحيط بنا ورود الصيف وجلس يسوع فى وسطنا .

فقال يسوع :

« طوبى للرصينين بالروح .

« طوبى لمن لا تقيدهم مقتنياتهم ، لأنهم سيكونون أحراراً .

« طوبى لمن يتذكرون آلامهم وفي آلامهم يرقبون أفراحهم .

« طوبى للجياع للحق والجمال ، لأن مجاعتهم ستحمل لهم خبزاً وعطشهم ماء عذباً .

« طوبى للرؤوفين ، لأنهم سيتعزون بلطفهم ورأفتهم .

« طوبى لأنقياء القلب ، لأنهم سيكونون واحداً مع الله .

« طوبى للرحماء، لأن الرحمة ستكون في نصيبهم .

« طوبى لصانعي السلام، لأن أرواحهم ستقطن فوق المعركة، وسيحوّلون حقل الخزّاف الى جنة غناء .

« طوبى للمُطَارَدين ، لأن اقدامهم ستكون سريعة وسيكونون مجنّحين

« افرحوا وابتهجوا ، لأنكم قد وجدتم ملكوت السماوات في أعماقكم . ان مرنّمي القدماء قد اضطُهِدوا عندما تغنّوا بذلك الملكوت . وأنتم أيضاً ستُضْطَهَدُون ، وفي هذا شرفكم وفيه أجركم .

« انتم ملح الأرض ، فاذا فسد الملح فبماذا يُصلح الطعام لقلب الانسان ؟

« أنتم نور العالم . فلا تضعوا هذا النور تحت المكيال . بل فليشرق نوركم من الأعالي لجميع الذين ينشدون مدينة الله .

« لا تظنوا اني جئت لأبطل شرائع الكتبة والفريسيين ؛ لأن أيامي بينكم معدودة وكلماتي محدودة ، وليس لديّ سوى بضع ساعات سأكمل فيها شريعة ثانية وأوضح عهداً جديداً .

« قد قيل لكم الاّ تقتلوا ، أما أنا فأقول لكم لا تغضبوا لغير سبب .

« قد قضى عليكم القدماء أن تحملوا عجولكم وحملانكم وحمامكم الى الهيكل ، وأن تذبحوها على المذبح ، لتتغذّى مشامّ الرب برائحة دهنها ، وتُغفر بذلك زلاتكم .

« أما أنا فأقول لكم ، هل تقدرون أن تعطوا الرب ما كان له منذ البدء ، أم هل تسكّنون غضبه ، وعرشُهُ يسمو على الأعماق الصامتة ، وهو يحوّط الفضاء بذراعيه ؟

« فتشوا بالأحرى عن أخيكم وتصالحوا معه قبل أن تجيئوا الى الهيكل ؛ واعطوا جاركم بمحبة مما عندكم . لأنه في نفس هؤلاء قد بنى الله هيكلاً لن يخرب ، وفي قلبهم قد أقام مذبحاً لن يُنقض .

« قد قيل لكم ، عين بعين وسنّ بسن . أما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر ، لأن المقاومة تغذي الشر وتزيده قوةً . ولا ينتقم لنفسه غير الضعيف . أما الأقوياء بالروح فانهم يسامحون ، ولمن تقع عليه الأذية شرف سام بصفحه وسماحه .

« الشجرة المثمرة وحدها يهزها الناس ويضربونها بالحجارة .

« لا تهتموا بالغد ، بل تأملوا في اليوم ، لأنه يكفي اليوم أعجوبته .

« لا تبالغوا فى الاعتداد بأنفسكم عندما تعطون مما هو لكم ، وانظروا بالأولى الى حاجة مَنْ تعطون . لأن كل من يُعطي غيره من المحتاجين يعطيه الآب نفسه بأوفر غزارة .

« اعطوا كل محتاج حسب حاجته ؛ لأن الأب لا يعطي ملحاً للعطشان ، ولا حجراً للجائع ، ولا حليباً للمفطوم .

« ولا تعطوا القدسات للكلاب ؛ ولا تطرحوا درركم للخنازير .

لأنكم بهذه العطايا تهزأون بها ؛ وهي أيضاً ستهزأ بعطاياكم ، وقد يحملها بغضها الى اهلاككم .

« لا تكنزوا لكم كنوزاً تفسُدُ أو يسرقها اللصوص . بل اكنزوا لكم كنوزاً لا تفسد ولا تُسرَق ، ولكنها تزداد جمالاً كلما ازدادت العيون الناظرة اليها . لأنهُ حيث يكون كنزك فهنالك قلبك أيضاً .

« قد قيل لكم أن القاتل يجب أن يسلم للسيف ، وأن اللص يجب أن يصلب ، والزانية يجب أن تُرجم . أما أنا فأقول لكم ، أنكم لستم أبرياء من جريمة القاتل واللص والزانية ، واذا حل العقاب بأجسادهم فان أرواحكم تظلم في أعماقكم .

« بالحقيقة انه ما من جريمة يرتكبها رجل فرد أو امرأة لوحدها . ان جميع الجرائم يشترك الجميع بارتكابها . أما الذى يدفع الجزاء فانه يقطع حلقةً من السلسلة المعلقة حول كعابكم . وقد يكون يدفع بكآبته ثمن أفراحكم الزائلة » .

هكذا تكلم يسوع ، وقد رغبت في السجود أمامه احتراماً واجلالاً ، ولكن خجلي من ذاتي الحقيرة كان يمسك بي فلم أقدر أن أتحرك من مكاني ولا أن أتلفظ بكلمة واحدة .

بيد انني تشجعت أخيراً وقلت له : « انني أود أن أصلي في هذه الدقيقة ، ولكن لساني ثقيل . فعلمني كيف أصلي » .

فقال يسوع ، « اذا صليتم فليتلفظ حنينكم بكلمات الصلاة .
وفي أعماقي الآن حنين يود أن يصلي هكذا :

« أبانا الذي في الأرض والسماوات ، ليتقدس اسمك .

« لتكن مشيئتك معنا كما هي في الفضاء .

« اعطنا من خبزك كفاية ليومنا .

« برأفتك اصفح عنا، ووسّع مداركنا لنصفح بعضنا عن بعض .

« سرّ بنا اليك ، ومدّ يدك الينا في الظلمة .

« لأن لك الملك ، وبك قوّتنا وكمالنا » .

وكان المساء ، فنزل يسوع من التلال ونحن نتبعه جميعاً . أما أنا فكنت أتبعه وأنا أردّد صلاته ، متذكراً جميع أقواله ؛ لأنني عرفت أن الكلمات التي تساقطت في ذلك اليوم كقطع الثلج يجب أن تستقر وتتحجر كالبلّور ، وان الأجنحة التي كانت تخفق فوق رؤوسنا يجب أن تضرب الأرض كالحوافر الحديدية .



(يوحنا بن زبدى)

فى اسماء يسوع المختلفة

قد اشرتم الى أن فريقاً منا يدعون يسوع بالمسيح، وغيرهم الكلمة، وآخرون يسمونه الناصري، وغيرهم ابن الانسان.

وها أنا آت لأوضح لكم معانى هذه الاسماء كما أعطي لي أن أفهمها.

فالمسيح، الذي كان في قديم الزمان، هو شعلة الالوهية التي تقيم في روح الانسان. هو نسمة الحياة التي تزورنا، وتتخذ جسداً كأجسادنا.

هو مشيئة الله.

هو الكلمة الاولى، التي تتكلم بأصواتنا وتقطن في اذاننا لنفهم ونعلم.

وكلمة الرب الهنا قد بنت بيتاً من اللحم والعظم وصارت انساناً مثلك ومثلي.

لأننا لم نقدر أن نسمع أنشودة الريح التي لا جسد لها، ولم نرَ ذاتنا العظمى سائرة في الضباب.

مراراً كثيرة جاء المسيح الى العالم، وقد مشى في بلاد كثيرة. بيد انه حُسِبَ غريباً بين الناس ومجنوناً أبداً.

ولكن صدى صوته لم يذهب عبثاً ، لأن ذاكرة الانسان كثيراً ما تحتفظ بما لا يعبأ له فكره ليحتفظ به .

هذا هو المسيح ، أبعد أعماقنا وأرفع أعالينا ، الذي يرافق الانسان الى الأبدية .

ألم تسمعوا به على مفارق الطرق في الهند ؟ وفي أرض المجوس، وعلى رمال مصر ؟

وهنا في بلادكم الشمالية قد تغنى شعراؤكم القدماء ببروميثيوس ، حامل النار ، الذي تحققت فيه رغبات الانسان ، وتحطمت به قضبان القفص الذي قيد رجاء الناس فأطلق وصار حراً ؛ وبأورفيوس ، الذي تجسد مع الصوت والقيثارة لينعش الروح في الحيوان والانسان .

أوالا تعرفون شيئاً عن ميصرا الملاك ، وزوروستر النبي الفارسي ، الذين استيقظا من نوم الانسان القديم ووقفا على فراش أحلامنا؟

الا اننا نحن أنفسنا نصير مُسحاء عندما نجتمع في الهيكل الغير المنظور ، في كل الف سنة . حينئذ يخرج أحدنا متجسداً . وعند مجيئه يتحول صمتنا الى غناء .

بيد أن اذاننا لا تتحول دائماً للسماع ، ولا عيوننا للنظر .

قد وُلد يسوع الناصري ونشأ مثلنا ؛ وكان أبوه وأمه كوالدينا، وكان هو انساناً مثلنا .

ولكن المسيح ، الكلمة ، الذي كان في البدء ، الروح التي

ترجو لنا أن نحيي حياةً كاملة ، كل هذا قد جاء الى يسوع واتحد معه .

فالروح كانت يد الرب الشعرية ، ويسوع كان قيثارة لها .

الروح كانت مزموراً ، ويسوع كان لحناً له :

ويسوع ، رجل الناصرة ، كان المضيف والممثل للمسيح ، الذي مشى معنا في الشمس ودعانا أصدقاءه .

ان تلال الجليل وأوديته لم تسمع في تلك الايام سوى صوته .

وعلى رغم حداثتي في ذلك العهد كنت أسير في طريقه وأقتفي خطواته .

أجل ، قد اقتفيت خطواته وسرت في طريقه لأسمع كلمات المسيح من شفتي يسوع الجليلي .

• • •

انكم تودون بلا شك أن تعلموا لماذا يدعوه فريق منا ابن الانسان .

فهو نفسه قد رغب في أن نسميه بهذا الاسم ، لأنه عرف بمجاعة الانسان وعطشه ، ورأى الانسان يفتش عن ذاته العظمى .

ان ابن الانسان هو المسيح الرؤوف ، الذي يريد أن يكون مع الجميع .

هو يسوع النذير الذي يرغب في قيادة جميع اخوته الى المختار الحبيب الذي مسحه الله بزيت قدسه ، الى الكلمة الذي كان في البدء مع الله .

ان يسوع الجليلي مقيم في قلبي ، وهو الانسان المتسامي على الناس ، والشاعر الذي يصنع الشعراء من جميعنا ، بل هو الروح التي تقرع على أبواب أرواحنا لنستيقظ وننهض ونخرج لملاقاة الحقيقة العارية الواثقة بنفسها

«كاهن شاب فى كفر ناحوم»

يسوع الساحر

كان ساحراً ملتوياً معوجاً، وعرافاً يضلل البسطاء بسحره وتعزيمه . وكان يشعوذ بكلمات أنبيائنا ومقادس اجدادنا .

وكان يطلب شهوده حتى من الاموات، ويتخذ سلطانه واعوانه من القبور الصامتة

وكان يفتش عن نساء اورشليم وبنات المزاوع بدهاء العناكب التى تفتش عن الذباب ، وكان يصطادهن بفخاخه .

لأن النساء ضعيفات فارغات الرؤوس ، وهن يتبعن الرجل الذى تطمئن الى كلماته العذبة اهواؤهن الباقية . ولولا هؤلاء النساء ، السقيمات العقول والمأخوذات بروحه الشرير ، لكان اسمه قد امحى من ذاكرة الانسان .

ومن هم الرجال الذين تبعوه ؟

كانوا من الطبقة المكدونة والمدوسة بالاقدام . ولم يكن يخطر لهم قط أن يثوروا على أسيادهم ، وهم على ما كانوا من الجهل والخوف . ولكنه عندما وعدهم بالمراكز العالية فى ملكوت سرابه ، استسلموا لاوهامه كما يستسلم الطين للخزاف .

أولا تعلمون أن العبد لايرى غير السيادة في احلامه ، والضعيف الخامل لا يرى نفسه إلا أسداً

فالجليلي كان مشعوذاً خدّاعاً ، وقد صفح عن خطايا جميع الخطاة ليسمع التهليل والهتاف « باوصنّا » من أفواههم القذرة ، وقد أطعم قلوب اليائسين والبؤساء ليكون له أذان كافية لسماع صوته وجيش يأتمر بأوامره .

وقد كسر السبت مع الذين يكسرونه ليكسب معاضدة الخارجين على الشريعة ، وتكلم بالسوء على رؤساء كهنتنا ليلفت أنظار المجلس الاعلى اليه ، ويزيد في شهرته عن طريق المعارضة .

طالما صرحت بأنني أبغض ذلك الرجل . نعم أبغضه اكثر من الرومانيين الذين يحكمون بلادنا . حتى أن مجيئه كان من الناصرة ، وهي القرية التي لعنها انبياؤنا ، فصارت مزبلة للأمم ، ولا يمكن أن يخرج منها شيء صالح .



لاوى غنى قرب الناصرة

بـوع النجار الماهر

كان نجاراً ماهراً . فالأبواب التي صنعها لم يستطع لص أن يخلعها ، والنوافذ التي عملها كانت حاضرةً أبداً لتنفتح للريح الشرقية والغربية .

وكان يصنع الصناديق من خشب الأرز ، فتأتي صقيلة متينة ، والمحاريث والسفافيد من السنديان فتجيء قوية سهلة الانقيـاد في يد الفلاح .

وكان يحفر المقارىء (جمع مِقرأ) لمجامعنـا من خشب التوت الذهبي ، وعلى جانبي الخشبتين اللتين يوضع عليهما الكتاب المقدس كان يضع جناحين منبسطين ، وتحتهما رؤوس ثيران وحمام وغزلان ذات عيون كبيرة .

كل هذا كان يتحدّى في صنعه طريقة الكلدانيين واليونانيين . ولـكن كان في فنه شيء لم يكن لا كلدانياً ولا يونانياً .

قد اشتغلت في بناء بيتي هذا أيد كثيرة منذ ثلاثين سنة . لأني فتشت عن البنائين والنجارين في جميع قرى الجليل . وكانت لكل منهم مهارة البناء وفنـه ، وكنت راضياً قانعاً بكل ما عملوه لي .

ولكن هلم وانظر هذين البابين وتلك النافذة التي صنعها يسوع الناصري . فهي بدقة صنعها وثباتها تهزأ بكل ما في بيتي .

أفلا ترى أن هذين البابين يختلفان عن جميع الأبواب التي في البيت ؟ وهذه النافذة المفتوحة للشرق ، ألا تختلف عن بقية النوافذ؟

ان جميع أبوابي ونوافذي تستسلم لشريعة السنين ما خلا هذه التي عملها هو . فهي وحدها ثابتة امام عناصر الطبيعة .

تأمل في هذه العوارض المتقاطعة ، كيف وضعها احداها فوق الأخرى ، وهذه المسامير كيف انزلت من الوجه الواحد في العارضة فخرجت من الوجه الثاني وهنالك لويت بدقة حتى لا تتزحزح من مواضعها.

والعجيب الغريب في هذه القضية أن ذلك العامل الذي كان يستحق أجرة رجلين لم يقبض الا أجرة رجل واحد فقط ، وذلك العامل نفسه هو في عقيدة البعض نبي في بني اسرائيل .

فلو عرفت في ذلك الحين أن هذا الشاب الحامل المنشار والفارة هو نبي ، لكنت طلبت اليه أن يتكلم عوضاً عن أن يشتغل ، ولكنت دفعت له الأجرة مضاعفة على كلماته .

وحتى الساعة لا يزال عمال كثيرون يشتغلون في بيتي وحقولي. ولكن كيف أقدر أن أميز بين الرجل الذي يده على محراثه والرجل الذي يدُ الله على يده ؟

نعم ، كيف أستطيع أن أعرف يد الله ؟

راع في جنوب لبنان

(مثل)

رأيته لأول مرة في آخر الصيف يمشي على تلك الطريق مع ثلاثة رجال من رفاقه . وكان الوقت عند المساء ، فوقف هنالك يتأمل الطريق في آخر المرج .

أما أنا فكنت أنفخ في مزماري ، وقطيعي يرعى حوالي . وعند ما وقف نهضت وسرت اليه ووقفت أمامه .

فسألني قائلاً : « أين قبر اليشع ؟ اليس قريباً من هذا المكان ؟ »

فأجبته : « هو هناك ، يا سيدي ، تحت تلك الرجة . وما برح عابرو الطريق حتى اليوم يحمل كل منهم حجراً و يضعه في هذه التلة »

فشكرني وسار في طريقه ورفقاؤه يسيرون وراءه .

وبعد ثلاثة أيام قال لي غملائيل الذي كان راعياً مثلي ، ان الرجل الذي مرّ بك هو نبي في اليهودية ، ولكنني لم أصدقه . بيد أن ذكرى ذلك الرجل لم تفارق ذاكرتي .

وعند ما جاء الربيع مرّ يسوع بهذا المرج ثانية ، وكان في هذه المرة وحده .

أما أنا فلم أكن أنفخ في مزماري في ذلك اليوم لأنني كنت قد أضعت خروفاً وكنت حزيناً تملأ غيوم الكآبة سماء قلبي .

وعند ما رأيته مشيت اليه ووقفت امامه صامتاً لأني أردت أن أتعزى .

فنظر اليّ وقال ، « أنت لا تنفخ في مزمارك اليوم . فمن أين جاءت الكآبة في عينيك ؟ »

فأجبته ، قد ضاع خروف من خرافي . وقد فتشتُ عنه في كل مكان فلم أجده . ولا أعلم ماذا أعمل . »

فسكت هنيهة ثم نظر اليّ مبتسماً وقال ، « انتظرني هنا ريثما أجد لك خروفك . » وسار في طريقه حتى اختفى بين التلال .

و بعد ساعة من الزمان رجع وكان خروفي يمشي الى جانبه . وفيما هو واقف امامي كان الخروف ينظر الى وجهه كما نظرت أنا . فأقبلت على الخروف أضمه الى صدري بفرح عظيم .

فوضع يده على كتفي وقال ، « انك منذ اليوم ستحب هذا الخروف اكثر من جميع الخراف في قطيعك ، لأنه كان ضالاً فوجد »

ثم ضممتُ خروفي ثانية الى صدري بفرح عظيم ، وكان الخروف يدنو مني وأنا صامت لا أنبث بشفة .

وعند ما رفعت رأسي لأشكر يسوع ، رأيته يسير بعيداً عني ، فلم أجسر أن أتبعه .

يوحنا المعمدان

﴿ لواحد من تلاميذه ﴾

انني لستُ صامتاً في هذا السجن المظلم في حين أن صوت يسوع يتعالى في ساحة الحرب . ولا يقدر أحد أن يلقي عليّ يداً أو يقيّد حريتي طالما انه هو حر .

يقولون لي أن الافاعي تنساب حول حقويه ، ولكنني أجيب: ان الأفاعي ستوقظ قوته ليسحقها بقدميه .

انني لست سوى رعد في برقه . ومع انني تكلمت أولاً ، فان الكلمة التي نطقتُ بها هي كلمته والغاية التي سعيت اليها هي غايته .

قد قبضوا عليَّ بدون انذار . ولعلهم يلقون أيديهم عليه أيضاً . ولكنهم لن يفعلوا ذلك قبل أن يتلفظ بكل أقواله . وسيغلبهم .

ستمرُّ عربته فوقهم، وستدوسهم حوافر خيوله ، وسيكون منتصراً .

سيخرجون اليه بسيوف وحراب ، ولكنه سيجابههم بقوة الروح .

سيجري دمه على الأرض ، ولكن قاتليه أنفسهم سيعرفون جراحه وآلامها ، وسيتعمدون بدموعهم حتى يتطهروا من خطاياهم .

ان جيوشهم ستهجم على مدنه بالمجانق الحديدية ، ولكنهم سيغرقون في طريقهم في نهر الأردن .

أما أسواره وأبراجه فستزداد ارتفاعاً ، ودروع محاربيه سيتضاعف بريقها في أشعة الشمس .

يقولون انني متواطىء معه لنحض الشعب على النهوض للثورة ضد مملكة اليهودية .

وها أنا أجيب ، ويا ليت لي نيراناً أصوغ منها كلماتي : اذا كانوا يحسبون بؤرة الاثم هذه مملكةً ، اذن فلتخرب ولتصرْ الى لا شيء . وليحل بها ما حل بصادوم وعمورة ، ولينسَ الربُ هذا الجنس ، ولتتحول هذه الأرض الى رماد .

نعم ، أنا حليف يسوع الناصري وراء هذه الجدران الغليظة في سجني ، وهو سيقود جيوشي بما فيها من الخيالة والمشاة . وأنا نفسي ، وان كنت قائداً في معسكر الرب ، فانني لست أهلاً لأن أحلَّ سيور حذائه .

اذهبوا اليه واعيدوا كلماتي على مسمعيه ، واطلبوا اليه باسمي أن يعزيكم ويباركم .

انني لن أقيم طويلاً في هذا المكان . لأنني في كل ليلة بين اليقظة واليقظة أشعر بأقدام بطيئة تدوس على هذا الجسد بخطوات متناسقة . وعند ما أصغي جيداً ، أسمع قطرات المطر تتساقط على جسدي .

اذهبوا الى يسوع ، وقولوا له ان يوحنا الكدروني الذي تمتلىء نفسه من الاشباح ثم يفرغها ثانيةً ، يصلي من أجلك ، في حين أن حفّار القبور يقف قريباً منه ، والسيّاف يمد يده لقبض أجرته .



يوسف الذى من الرامة

﴿ المطالب الاولية ليسوع ﴾

تودون أن تعرفوا المطلب الأول ليسوع ، وها أنا بفرح أخبركم. ولكن ما من رجل يستطيع أن يلامس بأصابعه حياة الكرمة المباركة ، أو ينظر بعينيه العصارة المقدسة التي تغذي أغصانها .

ومع انني تذوقت عنب هذه الكرمة وشربت الخمرة الجديدة من المعصرة ، فأنا عاجز عن أن أخبركم كل شيء .

ولكنني أقدر أن أحدثكم بما أعرفه عنه .

ان معلمنا وحبيبنا لم يعش سوى ثلاثة فصول من فصول الانبياء . وأنا أعني ربيع إنشاده ، وصيف وجده وخريف آلامه ، وكل فصل من هذه الفصول كان عبارة عن الف سنة .

فربيع إنشاده قضاه مترنماً في الجليل . فهنالك كان يجمع محبيه حواليه ، وعلى شواطىء البحيرة الخضراء تكلم أولاً عن الاب ، وعن العتق والحرية .

على بحيرة الجليل خسرنا أنفسنا لنجد طريقنا الى الاب ؛ أواه ، ما أتفه ما خسرنا بالنسبة الى ما ربحنا .

هنالك ترنم الملائكة في اذاننا وأمرونا أن نهجر الأرض المجدبة لنحظى بفردوس رغبات القلب .

هنالك كان يتكلم عن الحقول والمراعي الخضراء ، وعن منحدرات لبنـان حيث تختبىء الزنابق الخضراء لكي لا تفطن لها القوافل المارّة في غبار الوادي .

وهنالك كان يخاطبنـا عن العوسج البرّي الذي يتبسَّم في الشمس ويقرب بخوره للريح المجتازة به .

وكان يقول ، « ان الزنابق والعوسج تعيش يوماً واحداً ، ولكن ذلك اليوم هو الأبدية التي تُقضى بالحرية » .

وفي أحد الامساء ، وقد جلسنا الى حافة جدول صغـير ، قال لنا : « انظروا الى الجدول واصغوا الى موسيقاه . فهو ينشد البحر أبداً ، ومع انه ينشـد البحر أبداً فهو يترنم بأسراره من الظهيرة الى الظهيرة »

« أودّ لو انكم تنشدون الأب كما ينشد هذا الجدول بحره » .

ثم جاء صيف وَجدِهِ ، وبلغ الينا حزيران محبته . فحصر كل كلامه بالآخرين — بالجار ، وعابر السبيل ، والغريب ورفقاء الصبوة .

فخاطبنا عن السائح المسافر من الشرق الى مصر ، والفـلاح الراجع بثيرانه الى بيتـه عند المساء ، وضيف الساعة الذي يَقوده مَلِسُ الظلام الى بابنا .

وكان يقول ، « ان جاركم هو ذاتكم الغير المعروفة ، تتجسد امامكم لتصير منظورة . فمياهكم الهادئة ستعكس لكم وجهـه ، واذا تأملتم فيها جيداً فأنتم ولا شك ستنظرون وجوهكم .

« واذا أصغيتم في سكينة الليـل ، فانكم ستسمعونه متكلماً ، وسيكون خفقان قلوبكم في كلماته .

« فاعملوا به نفس ما تودون أن يعمله هو بكم .

« هذه هي شريعتي ، وأنا أقولها لكم ولأولادكم ، وهم يقولونها لأولادهم حتى تُنفق كنوز الزمان وتضمحل خزائن الأجيال » .

وفي يوم ثان قال لنا ، « لا تكن وحدك في حياتك . لأنك تعيش في أعمال الآخرين ، وهم وان جهلوا يعيشون معك سحابة أيامك .

« انهم لا يقترفون جريمة من غير أن تكون يدك مع أيديهم .

« وهم لا يسقطون من غير أن تسقط معهم ، ولا ينهضون الا وأنت تنهض معهم .

« ان طريقهم الى المقدس هي طريقك ، واذا نشزوا الى قفر السقوط فأنت أيضاً ناشز معهم .

« أنت وقريبك بزرتان مزروعتان فى الحقل الواحد . وأنتما تنموان معاً وتتموجان معاً أمام الريح . ولكن لايستطيع أحدكما أن يدعي ملكية الحقل . لأن البزرة السائرة الى النماء لا تقدر أن تدعي حتى ولا ملكية وَجدها وافتتانها .

«اليوم أنا معكم .ولكنني غداً أمضى الى الغرب ؛ غير أنني قبل ان أمضي أقول لكم ، أن جاركم هو ذاتكم الغير المعروفة ، تتجسد أمامكم لتصير منظورة . فانشدوه بمحبة لتعرفوا أنفسكم ، لانكم بهذه المعرفة فقط تستطيعون أن تكونوا اخوة لي . »

ثم جاء خريف آلامه .

فخاطبنا عن الحرية ، كما كان يخاطبنا فى الجليل فى ربيع إنشاده؛ ولكن كلماته في هذه المرة كانت تنشد أعمق اعماق فهمنا .

فكان يتكلم عن الاوراق التي لاتنشد أناشيدها إلا اذا حركتها الرياح ؛ وعن الانسان مشبهاً إياه بكأس يملأهـا ملاك الخدمة اليوم لتبرد عطش ملاك آخر . ومع ذلك فسواء كانت هذه الكأس ممتلئة أو فارغة فانها تظل لامعة ببلورها على مائدة العلي القدير

ومن أقواله ، « انتم الكأس وانتم الخمرة . فاشربوا من خمرة انفسكم حتى الثمالة ، أو تذكروني فتروى غلة عطشكم . »

وفي طريقنا الى الجنوب قال لنا ، « أن اورشليم ، الجالسة بكبرياء على قنة مجدها ، ستنحدر الى اعماق جهنم الوادي المظلم ، وفي وسط خرابها سأقف وحيداً .

« وسيتحول الهيكل الى غبار ورماد ، وحول أروقته ستسمعون صراخ الارامل والايتام ، والناس في عجلتهم للهرب سيتعامون عن رؤية وجوه اخوتهم ، لان الخوف سيشملهم جميعاً .

ولكن حتى في ذلك الوقت ، اذا اجتمع اثنان منكم وتلفظا بأسمي ونظرا إلى الغرب ، فانكم تبصروني فتتراجع اصداء كلماتي هذه الى آذانكم . »

وعندما وصلنا الى تلة بيت عينا قال ، « لنمض الى اورشليم .فان المدينة تنتظرنا. سأدخل البوابة راكبًا على جحش ،وسأخاطب الجموع

« أن الراغبين في تقييدي كثيرون ، واكثر منهم النافخون في النار ليحرقوني ، ولكنكم بموتي ستجدون حياة وستكونون أحراراً .

« انهم يطلبون نسمة الحياة الحائمة بين القلب والفكر كما يحوم الخطاف بين الحقل وعشه . ولكن نسمة حياتي قد هربت منهم ، ولذلك لن يغلبوني .

« أن الاسوار التي بناها الاب حولي لن تسقط ، والارض التي قدسها في كياني لن تتنجس .

«فاذا جاء الفجر فان الشمس ستتوّج رأسي فاجتمع بكم لمجابهة النهار . وذلك النهار سيكون طويلا ولن يرى العالم مساءه .

« يقول الكتبة والفريسيون أن الارض متعطشة لدمي. ويسرني أن ابرد عطش الارض بدمي . ولكن قطرهذا الدم ستنهض بأغصان السنديان والقَيقَب،وستحمل الريح الشرقية بلوطها الى جميع البلدان»

ثم قال أيضاً ، « إن اليهودية تريد ملكا لتهجم على جيوش رومة . »

« انني لا أريد ان اكون ملكا لهـا . لان تيجان صهيون قد صنعت للجباه الصغيرة ، وخاتم سليمان صغير على هذه الاصبع .

«تأملوا في يدي ، ألا ترون انها أقوى من أن تحمل صولجاناً ، وأقدر من ان تمتشق حساماً ؟

« ألا انني لا أريد ان أثير السوري ضد الروماني . ولكن انتم بكلماتي ستوقظون المدينة الغافلة ، فتخاطبها روحي في فجرها الثاني .

« ان كلماتي ستؤلف جيشاً لا تراه العيون ، حافلا بالخيول والعربات ، وبغير فأس ولا حربة سأغلب كهنة اورشليم وانتصر على القياصرة .

« انني لا أجلس على عرش قد جلس عليه العبيد ليحكموا غيرهم من العبيد . كلا ، ولا أريد أن اثور على أبناء إيطاليا .

« ولكنني سأكون عاصفة في سمائهم ، وانشودة في نفسهم .

« وسيذكرني الجميع .

« وسيدعونني الجميع يسوع الممسوح . »

جميع هذه الأقوال قالها يسوع خارج اسوار اورشليم قبل أن دخل المدينة .

وقد انطبعت كلماته على صفحات القلوب كأنما حُفرت بالأزاميل.

———o○o———

ثنائيل

{ لم يكن يسوع وديعاً }

يقولون ان يسوع الناصري كان وضيعاً وديعاً .

ويقولون انه كان رجلاً باراً عادلاً ، ولكنه كان ضعيفاً ، وانه كثيراً ما كان يتحيّر ويندهل أمام الأقوياء والاشداء ، وأنه عندما كان يقف أمام ذوي السلطان لم يكن سوى حمل أمام سباع .

أما أنا فأقول ، ان يسوع كان له سلطان فوق جميع الناس ، وأنه عرف قوته وأعلنها بين تلال الجليل ،وفي مدن اليهودية وفينيقية .

فأيّ رجل ضعيف مستسلم يقول ، « انا الحياة ، وأنا طريق الحق ؟ »

وأيّ رجل وديع وحقير يجرؤ ان يقول « أنا في الله أبينا ، والاهنا الاب فيّ . » ؟

وأيّ رجل لا يعرف قوته ويقول ، « ان من لا يؤمن بي لا يؤمن بهذه الحياة ولا بالحياة الابدية » ؟

وأيّ رجل لا يثق بالغد ويقدر ان يصرح بمثل هذا الاعلان ، « ان عالمكم سيزول ويتحول الى رماد تذريه الريح قبل ان تزول كلمة من كلماتي » ؟

أم هل شكَّ في قوته عندما قال للذين حملوا الزانية اليه ليجربوه ، « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » ؟

وهل خاف ذوي السلطان عندما طرد الصيارفة من ساحة الهيكل مع أنهم كانوا مفوّضين من الكهنة ؟

وهل كان مقصوص الجناحين عندما صرخ قائلاً ، « ان مملكتي فوق ممالككم الأرضية ؟

أم هل كان يختبيء بالألفاظ عندما قال المرة بعد المرة ، « أنقضوا هذا الهيكل وأنا أعيد بناءه بثلاثة أيام ؟

وهل يستطيع الجبان ان يهز يمينه في وجه ذوي السلطان فيدعوهم « كذبة أدنياء وقذرين منجّسين ؟

ان رجلاً كانت له الجرأة على قول مثل هذا لاسياد اليهودية لايمكن ان يكون وضيعاً وديعاً . ألا ان النسر لا يبني عشه في الصفصاف الباكي . والسبع لايفتش عن عرينته بين الادغال .

قد سئمتُ والتهبت أحشائي من قول ضعفاء القلوب ان يسوع كان وضيعاً وديعاً ليبرروا ضعفهم وصغارة قلوبهم ، وخصوصاً عندما أسمع المدوسين بالاقدام ينشدون تعزيتهم بوضع المعلم في صفوفهم

نعم ، قد ضجر قلبي من أمثال هؤلاء . فأنا ابشر بصياد قدير ، وروح جبلية لا تعرف الغلبة .

سابا الانطاكي

﴿ يصف شاوول الطرسوسي ﴾

سمعت في هذا اليوم شاول الطرسوسي يبشر بالمسيح لليهود في هذه المدينة .

فهو يسمي نفسه بولس الآن ، رسول الأمم .

قد عرفت هذا الرجل في حداثتي ، وكان في تلك الأيام يضطهد أصدقاء الناصري . وانا ما زلت اذكر جيداً مسرته ورضاه إذ كان يتأمل في أصحابه وهم يرجمون الشاب المنير استفانوس

ان بولس هذا رجل عجيب غريب . ان نفسه ليست بنفس الرجل الحرّ .

فهو كثيراً ما يبدو كالحيوان في الغابة ، طارده الصيادون وجرحوه ، فجاء ينشد كهفاً يخفي فيه ألمه عن العالم .

وهو لا يتكلم عن يسوع ولا يعيد أقواله . بل يعظ عن ماسيّا الذي انبأت عنه الأنبياء .

ومع انه من علماء اليهود فهو يخاطب أصحابه اليهود باليونانية : ويونانيته عرجاء ، وهو لا يحسن اختيار الفاظه لمواضعها .

يد انه رجل ذو قوة خفية. والناس يؤيدونه باقبالهم على سماعه . وكثيراً ما يؤكد لهم أموراً هو نفسه لا يثق بها .

فنحن الذين عرفنا يسوع وسمعنا خُطبه تقول انه علّم الانسان كيف يحطّم قيود عبوديته ليتحرّر من سجون أمسه .

ولكن بولس هذا يصنع قيوداً جديدة لرجل الغد . فهو يضرب بمطرقته على السندان باسم رجل هو نفسه لا يعرفه .

فالناصري يرغب الينا أن نعيش الساعة بوَجد وشوق :

أما رجل طرسوس هذا فانه يأمرنا بالمحافظة على الشرائع المكتوبة في الكتب القديمة .

قد مَنَحَ يسوع من نسمة روحه للميت الفاقد النسمة . وفي وحدة لياليَّ اؤمن وأفهم .

وعندما كان يجلس الى المائدة كان يقص على الجالسين معه قصصاً تزيد في بهجتهم ومساعدتهم ولذة طعامهم وشرابهم .

ولكن بولس يحدّد لنا رغيفنا وكأسنا .

فاسمحوا لي الآن ان ادير عينيّ الى الطريق الاخرى .



سالومه الى صديقة لها

رغبة لم تحقق

كان كالحور اللامع في الشمس؛ وكالبحيرة بين التلال الوحيدة مشرقاً في الشمس ؛ وكان كالثلج على رؤوس الجبال ابيض في الشمس.

نعم ، كان مثل هذه جميعها وقد أحببته . بيد انني كنت أخاف أن أجلس في حضرته . ولم تقوَ قدماي على حمل أثقال محبتي لأضمّ قدميهِ الى صدري .

وكنت أود أن أقول له ، « قد قتلت صديقك في ساعة هوًى في نفسي . فهل تغفر لي خطيئتي ؟ وأنت الرحوم الصفوح أفلا تحلّ قيود شبابي من عماوة عملي لأمشي حرّةً طليقة في نورك العظيم ؟ »

« انني واثقة بأنهُ كان يصفح عن رقصتي للحصول على رأس صديقه البار . انني واثقة بأنهُ كان قد رأى فيَّ موضوعاً من مواضيع تعاليمه . لأنهُ لم يكن في العالم من وادي مجاعة لم يعبرها ، ولا صحراء عطش لم يقطعها .

بلى ، قد كان كالحور الجميل ، وكالبحيرات بين التلال ، وكالثلج على لبنان . وكنت أتوق لتبريد عطش شفتي في ثنايا ثوبه .

بيد انهُ كان بعيـداً عني ، وأنا كنت خجولة . وكانت امي تمنعني عن الذهاب اليهِ كلما دعاني حنيني الى السير وراءه .

وكلما مرّ بنا كان قلبي يذوب من جمـاله ، ولـكن امي كانت تقطّب حاجبيها احتقـاراً وتأمرني بالتحول عن النافذة الى غرفتي . وكانت تصرخ بأعلى صوتها قائلة : « ومن يكون هذا سوى اكول جراد آخر من الصحراء ؟ »

« إن هو الا مستهزئ خائن ، ومشاغب يتعيش باثارة نيران العصيان ، لسلب صولجاننا وتاجنا ، وحمل الثعالب و بنات آوى من بلاده اللعينة لتعوي في قصورنا وتجلس على عرشنا ؟ اذهبي واحجبي وجهك من هذا النهار وانتظري يوم يسقط رأسـه ولـكن ليس على طبقك »

كل هذا قالتهُ والدتي ولـكن قلبي لم يحفظ كلامها ، فقد أحببتهُ سراً وكان حبه يمنطق نومي بالهيب .

قد مضى اليوم . وقد ذهب بذهابهِ شيء عظيم كان فيّ . ومن يدري فقد يكون شبابي قد ذهب مني لأنهُ لم يطق أن يقيم هنا بعد أن رأى إلاه الشباب قتيلاً .



راحيل احدى التلميذات

هل كان يسوع رجلاً أم فكراً

كثيراً ما افكر منذهلةً فيما اذا كان يسوع رجلاً ذا لحمٍ ودمٍ نظيرنا ، أو فكراً بغير جسد ، في العقل ، أو فكرةً تزور خيال الانسان .

وكثيراً ما يخطر لي انهُ لم يكن سوى حلم حلمهُ رجال ونساء لا عديد لهم، وقد رآه جميعهم في نوم اعمق من النوم، وفجرٍ أهدأ من كل فجر .

ويظهر اننا إذ كنا نقص هذا الحلم بعضنا لبعض شرعنا نتخيله حقيقة وقعت بالحقيقة ؛ واذ منحناه جسداً من خيالنا وصوتاً من حنيننا جعلناه أخيراً جوهراً حقيقياً لمادة وجودنا .

ولكن بالحقيقة انهُ لم يكن حلماً . فقد عرفناه ثلاث سنين ورأيناه رأي العين في نور الظهيرة اللامع .

قد لمسنا يديهِ وتبعناه من مكان الى مكان . قد سمعنا خطبه ورأينا أعماله . وهل يخطر لكم اننا كنا فكراً ينشد غيره من الافكار ، أو حلماً هائماً في منطقة الأحلام ؟

ان الحوادث العظيمة تظهر دائماً غريبة عن حياتنا اليومية ،

وان كانت طبيعتها مغروسة في طبيعتنا . وهي وان أقامت فجأة في مجيئها وفجأة في مرورها بنا فان جوهرها الحقيقيّ يرافق السنين والاجيال .

ويسوع الناصري هو نفسه الحادثة العظمى . فان ذلك الرجل الذي نعرف أباه وامه واخوته كان نفسه أعجوبة حدثت في اليهودية . بلى ، وكل عجائبه ، اذا وضعت عند قدميه لا تعلو الى مساواة عقبيه.

وجميع الأنهار في جميع السنين لا تقدر أن تذهب بذكراه من قلوبنا .

فقد كان جبلاً محترقاً في الليل ،ومع ذلك كان حرارة لطيفة وراء التلال . وكان عاصفة في الجو ، ومع ذلك كان يتحرك بلطف في ضباب الفجر .

كان يسوع سيلاً جارفاً منحدراً من الأعالي الى السهول ليهدم كل شيء في طريقه . وكان في الوقت نفسه لطيفاً كابتسامة الاطفال .

في كل سنة أنتظر زيارة الربيع لهذا الوادي . وفي كل سنة انتظر الزنابق وبخور مريم ، ولكن نفسي تكتئب في أعماق كل سنة ؛ لأنني طالما تقتُ لأفرح مع الربيع فلم أقدر .

ولكن عندما جاء يسوع الى فصولي كان بالحقيقة ربيعاً لاحلامي ، وقد تحققت فيهِ مواعيد جميع السنين المقبلة . فقد ملأ قلبي فرحاً ؛ فنموت كالبنفسج خجولة في نور مجيئه .

واليوم لا تستطيع تقلبات فصول العوالم التي لم تصرْ لنا بعدُ أن تمحو جماله من عالمنا هذا .

الا ان يسوع لم يكن حلماً ولا فكرةً تمخضت بها أحلام الشعراء . بل كان رجلاً مثلك ومثلي بالبصر والسمع واللمس ، وفي جميع ما تبقى كان يختلف كل الاختلاف عن جميعنا .

فقد كان رجل أفراح ؛ وعلى طريق الفرح تعرَّف الى كآبة جميع الناس . ومن أعالي سطوح كآبته رأى فرح جميع الناس .

ان الرؤى التي رآها لم نرَها نحن ، والأصوات التي سمعها لم نسمعها ؛ وكان يتكلم مخاطباً جموعاً غير منظورة ، بل كثيراً ما تكلم بواسطتنا لأقوام لم يولدوا بعد .

وكان يسوع وحده في اكثر الأحيان . فقد كان بيننا ولكنه لم يكن واحداً منا . وكان على وجه الأرض ، ولكنهُ كان من السماء . ونحن لا نقدر أن نرى أرض وحدته الا في وحدتنا .

قد أحبنا حباً ممتلئاً بالعطف والحنان . وكان قلبه معصرة . وأنت وأنا كان في منالنا أن نتقدم اليه بكؤوسنا فنشرب حتى نرتوي

ان أمراً واحداً لم أكن أفهمهُ في يسوع : وهو انهُ كان كثير المجون مع سامعيه ؛ فهو يخبرهم مُلْحَةً ويلعب بالألفاظ ، ثم يضحك من أعماق قلبه ، حتى في الأوقات التي كانت ترتسم فيها الكآبة

على عينيه وتمتزج بدقائق صوته . كل هذا لم أفهمه في ذلك الوقت، ولكنني أفهمه الان .

كثيراً ما افكر في الأرض فأتمثلها امرأة حُبلى ببكرها . وعند ما ولد يسوع كان ابنها البكر . وعندما مات كان أول رجل يموت .

لأنهُ ، ألم يظهر لك أن الأرض كانت صامتةً في تلك الجمعة المظلمة ، والسماوات كانت في حرب شديدة ضد السماوات ؟

بل ، ألم تشعر عندما اختفى وجهه عن أبصارنا بأننا لم نكن سوى تذكارات هائمة في الضباب ؟

Who is man that thou art mindful of him?



— كلاوبا البـــتروني —

الشريعة والانبياء

عندما تكلم يسوع صمت العالم كله ليصغي . ان كلماته لم تكن لآذاننا بل بالأحرى للعناصر الذي صنع الله منها هذه الارض .

فقد خاطب البحر ، الأمّ المتسعة الصدر التي ولدتنا . وخاطب الجبل ، أخانا الاكبر الذي قمته وعدٌ ورجاء .

وخاطب الملائكة الذين وراء البحر والجبل ، الذين استودعناهم أحلامنا قبل أن جف الطين الذي فينا في أشعة الشمس .

ولا يزال خطابه هاجعاً في صدرنا كأغنية الحب النصف منسية ، وفي بعض المرات يخترق طريقه الى ذاكرتنا .

كان خطابه بسيطاً فرحاً ، وكانت رنة صوته كالماء العذب في أرض ناشفة .

وقد رفع يده مرة نحو السماء ، فبدت أصابعه كأغصان الجميزة ، وقال بصوت عظيم ، « قد خاطبكم أنبياء القدماء ، وآذانكم ممتلئة من خطبهم . أما أنا فأقول لكم ، أفرغوا آذانكم مما سمعتم . »

وهذه الكلمات التى قالها يسوع « أما أنا فأقول لكم ، » لم يتلفظ

بها رجل من قومنا ولا من العالم أجمع ، بل انما حملها الينا جوق من السارافيم في مروره بسماء اليهودية .

وكان يقتطف أقوال الشريعة والانبياء مثنى وثلاث ورباع ثم يضيف اليها في كل مرة قائلاً : « أما أنا فأقول لكم . »

يا لها من كلمات نارية ، يا لها من أمواج بحر لم تعرفها شواطىء أفكارنا ، « أما أنا فأقول لكم ! » يا لها من كواكب لامعة تنشد ظلمة النفس ، ونفوس مستيقظة تنتظر جلال الفجر !

ان من يود أن يتكلم عن خطاب يسوع يجب أن يكون له خطابه او صدى خطابه . أما أنا فليس لي خطابه ولا صداه . فأرجو من فضلكم عذراً عن الشروع في قصة لا أقدر أن أكملها . ولكن النهاية ليست على شفتيّ بعدُ . فانها مازالت أغنية حب في الريح .



موت استفانوس

قد تفرق تلاميـذه . لأنه وصّى لهم بالألم قبل ان سيق الى الموت . وأعداؤهم يصطادونهم صيد الغزلان ، وثعالب الحقول ، ولا تزال جعبة الصياد ممتلئة بالسهام .

ولكن عندما يقبض العدو عليهم ويسوقهم الى الموت، يفرحون وتشرق وجوههم كوجه العروس في وليمة العرس . فقد ترك لهم أيضاً وصية الفرح .

كان لي صديق من أهل الشمال اسمه استفانوس ، وبما أنه نادى يسوع ابن الانسان ، قادوه الى ساحة المدينة ورجموه .

وعنـدما سقط استفانوس على الارض بسط ذراعيه كأنه يودّ أن يموت كما مات معلمـه . وقد انبسط ذراعاه كجناحين على أهبـة الطيران . وقبـل أن يضمحل آخر بريق في عينيه ، رأيت بأم عيني ابتسامة قدسية ترتسم على شفتيه . وما أشبه تلك الابتسـامة بالنسيم الذي يأتي قبل نهاية الشتاء واعداً ومبشراً بقدوم الربيع .

كيف أستطيع أن أصفها ؟

يلوح لي أن استفانوس كان يود أن يقول ، « اذا كان لي أن أمضي الى عالم آخر ، وهنالك قبض عليّ قوم آخرون وساقوني الى

ساحة مدينتهم ليرجموني ، فانني حتى في ذلك العـالم سأعلنه للناس من أجل الحق الذي كان فيه ، ومن أجل الحق نفسه الذي هو فيَّ الآن . »

وقد لاحظت بين المتفرجين على رجم استفانوس رجلاً واقفاً أمامه ينظر بملء الفرح الى الحجارة المتساقطة عليه .

وكان اسم ذلك الرجل شاوول الطرسوسي ، وهو الذي سلّم استفانوس للكهنة والرومانيين والجموع ليرجموه .

كان شاوول أصلع الرأس قصير القامة . وكان معوجّ الكتفين ولا تناسب في قوامه ، ولم أكن أحبه .

وقد أخبروني أنه يبشر اليوم بيسوع من على السطوح . ولكن هذا الكلام صعب التصديق .

ولكن القبر لا يستطيع أن يقف في طريق سير يسوع الى معسكر أعدائه ليروض شراستهم و يأسر أعظمهم

بيد انني لا أحب ذلك الرجل الطرسوسيّ ، على رغم ما عرفته أنه بعد موت استفانوس قد خمدت حدة شراسته وغُلِبَ على أمره في طريقه الى دمشق . ولكن رأسه اكبر من قلبه فهو لا يقدر أن يكون تلميذاً أميناً .

ومع كل هذا فقد اكون مخطئاً في حكمي ، لأنني في الغالب مخطىء في أحكامي .

توما

يصف جده وشكوكه

قال لي جدي مرةً ، وكان متشرعاً ، « لنحتفظ بالحق عند ما يظهر الحق لنا » .

وعند ما دعاني يسوع لبيَّت دعوته ، لأن أمرَهُ كان أقوى من ارادتي ؛ ولكنني لم أنس نصيحة جدي (رحمهُ الله) .

وعند ما كان يخاطبنا فيتحرك غيري من السامعين كأغصان الأشجار المتمايلة امام هبوب الرياح ، كنتُ أصغي اليهِ من غير أن أتحرك . ولكنني على رغم ذلك أحببته .

قد تركنا منذ ثلاث سنوات ، جماعة متفرقة تترنم باسمه ، وتشهد له في جميع الأمم .

وقد دُعيت في ذلك الوقت بتوما المشكّك . لأن خيال جدي كان ألزم لي من ظلي ، وكنت التمس اظهار الحقيقة لألمسها بيدي أبداً

في ذلك العهد المظلم بالشك كنت أضع يدي في جرحي لأرى لدماء تنزف منهُ قبل أن أصدق بما بي من الآلم .

ولكنني قد عرفت الآن أن الرجل الذي يحب بقلبه ويحتفظ بالشكوك في فكره ، هو عبد محكوم عليه بالتجذيف في سفينة مظلمة ،

ينام امام مجاذيفه ويحلم بحريته حتى توقظه سياط سيده .

فانا كنت مثل هذا العبد ، وقد حلمت بالحرية ، ولكن نوم جدي كان يثقل أجفاني . وقد احتاج جسدي الى سياط يومي .

انني حتى في حضرة الناصري كنت أغمض عيني لأرى يديّ مربوطتين الى المجذاف .

الشك ألمٌ أنستهُ وحدتهُ أنهُ والايمان توأمان .

الشك فرخ من الطير ضالّ وشقي ، ومع أن أمه التي ولدته ستجده وتضمهُ الى صدرها ، فانهُ يهرب منها حذراً خائفاً .

ولن يعرف الشك سبيله الى الحق حتى تشفى جراحه وتعود صحته .

فأنا شككت في يسوع حتى أظهر لي ذاته ، ووضعتُ يدي في جراحه .

حينئذ أمنت بالحقيقة ، وبعد ذلك تحررت من امسي ومن جميع شكوك الأمس التي ورثتها عن جدودي .

فقد دفن الميت فيَّ موتاه ؛ والحيّ فيّ سيعيش للملك الممسوح ، ذلك الذي دُعيَ ابن الانسان .

قد أخبروني في الأمس انهُ يجب أن أسير مبشراً باسمه بين أبناء فارس والهند .

انني ماضٍ الى عملي . ومن هذا اليوم الى آخر أيامي ، في الفجر وفي المساء ، سأرى ربي قائماً بجلال وسأسمعه متكلماً .

المقدم المنطقى

يسوع الخارجى

تطلبون إليّ أن أتكلم عن يسوع الناصري ، ولدي عنه حديث مستفيض ، ولكن لم يأتِ الوقت بعد . ولكن مهما قلت عنه الآن فهو الحق بعينه ، لأن كل قول لا قيمة له مالم يوضح الحقيقة .

اليكم رجل مختل ، يثور على النظام ؛ ومتسوّل ، يقاوم المقتنيات؛ وسكّير ، لا يفرح الا مع المحتالين والمرذولين .

لم يكن ابن الولاية الفخور ، ولا ابن الامبراطورية المتمتع بحمايتها كسائر المواطنين النافعين ، ولذلك كان يحتقر الولاية والامبراطورية

وكان يعيش حراً لا يعـرف الواجب كطيور الهواء ، ولذلك أنزله الصيادون الى الارض بسهامهم .

ما من رجل يدك قباب الأمس وينجو من حجارتها المتساقطة.

وما من رجل يفتح أبواب طوفان أسلافه من غير أن يختنق . هى الشريعة . وبما أن ذلك الناصري كسر الشريعة صار هو وأتباعه البلداء الى لا شيء .

وقد عاش في العالم كثيرون مثله من الرجال الذين أرادوا أن يغيروا مجرى حياتنا .

ولكنهم هم أنفسهم تغيروا ، وكانوا خاسرين .

توجد دالية لا عنب فيها تنمو عند أسوار المدينـة . وهي تمتدّ وتعرّشُ على حجارة السور. فاذا قالت هذه الدالية في قلبها ، «انني سأخرب هذه الجدران بقوتي وثقل أغصاني ، » فماذا تقول لها بقية النباتات ؟ انها ولا شك تضحك من جنونها .

لأجل هـذا تراني يا سيدي مضطراً الى الضحك من هذا الرجل ومن تلاميذه المخدوعين به .



احدى المريمات

كآبة وابتسامة

كان رأسه مرتفعاً أبداً ، ونور الرب كان فى عينيه .

وكان في الغالب كئيباً ، ولكن كآبته كانت بلسماً لجراح الحزانى والمستوحشين .

وعندما كان يتبسَّم كانت ابتسامته كمجاعة المشتاقين الى الغير المعروف . بل كانت كغبار الكواكب المتساقط على أجفان الاولاد وكقطعة الخبز في الحلق .

كان كئيباً ، ولكن كآبته كانت من النوع الذي ينهض الى الشفتين ويتحوّل الى ابتسامة .

فقد كانت كقناع ذهبي في الحرج عند دنو الخريف . وفي بعض المرات كانت تبدو لنا كأشعة القمر على شواطئ البحيرة .

فكان يتبسم كان شفتيه تودان الغناء فى وليمة عرس .

بيد أنه كأنه كئيباً بكآبة ذي الجناحين الذي لايريد أن يحلق فوق رفيقه .

رومانوس الشاعر يوناني

يسوع الشاعر

كان يسوع شاعراً . وكان يرى لعيوننا ويسمع لآذاننا ، وكلماتنا الصامتة كانت على شفتيه ؛ وأصابعه كانت تلامس ما لم نقدر نحن أن نحسّ به .

وكانت تطير من قلبه عصافير مغرّدة لا عديد لها بعضها الى الشمال وبعضها الى الجنوب ، وكانت الأزهار اللطيفة في جوانب التلال تسدّد خطواته نحو السماوات .

كثيراً ما رأيته ينحني ليلامس أوراق الأعشاب . وفي قلبي كنت اسمعه يخاطبها قائلاً : « أيتها المخلوقات الصغيرة الخضراء ، أنت ستكونين معي في ملكوتي كما سيكون معي سنديان بيسان وارز لبنان » .

وكان يحب كل ما هو جميل في الوجود ؛ الوجوه الخجولة في الأولاد ، والمرّ واللبان من الجنوب .

قد أحب رمانةً أو كأساً من الخمر تقرّب اليه بمودة ؛ ولم يهمهُ أجاءت من غريب في الفندق أو من مُضيف غنيّ .

وكان يحب ازهار اللوز . وقد رأيته مرةً يجمعها بيده ويغطي وجهه بأوراقها كأنهُ يود أن يعانق بمحبته كل أشجار العالم .

قد عرف البحر والسماوات ؛ وتكلم عن الدُرر التي لم تتخذ نورها من هذا النور ، والكواكب القائمة فوق ليلنا .

وعرف الجبال كما تعرفها النسور ، والأودية كما تعرفها السواقي والجداول . وكانت في صمته صحراء ، وفي كلامه جنة غناء

نعم ، كان يسوع شاعراً قد أقام قلبه في مظلة تسمو على أعلى أعالينا ، ومع ان ترانيمه أنشدت لآذاننا فقد أنشدت أيضاً لآذان أخرى ، وسمعها الناس في بلاد أخرى حيث الحياة كلها شباب دائم والزمان كله فجر مقيم .

قد حسبت نفسي شاعراً فيما مضى ، ولكنني عندما وقفت امامه في بيت عنيا عرفتُ للحال ما مقام الضارب على آلة ذات وتر واحد امام الذي يأمر جميع الآلات وجميع الأوتار فتطيعه . فقد اجتمع في صوته ضحك الرعود ، ودموع الأمطار ، ورقص الرياح والاشجار .

ومذ عرفت هذا صارت قيثارتي ذات وتر واحد ، ولم يعد لصوتي أن يحوك لا تذكارات الأمس ولا آمال الغد ، ولذلك رميت بقيثارتي جانباً وعولت على الاعتصام بالصمت . ولكنني عند كل شفق أصغي بجماع نفسي ، لاسمع الشاعر الذي هو أمير جميع الشعراء .

لاوى التلميذ

في المجرّبين والمرائين

في أحد الامساء مرّ يسوع ببيتي ، فاستيقظت نفسي في أعماقي .

فخاطبني قائلاً ، « هلمّ يا لاوي ، واتبعني . »

فتبعته في ذلك اليوم .

وفي مساء اليوم التالي طلبت اليه أن يدخل بيتي ويشرفني بضيافته . فعبر فوق عتبتي هو وأصدقاؤه وباركني مع امرأتي وأولادي .

وكان في بيتي ضيوف غيره من الكتبة والعلماء . ولكنهم كانوا ضده في قلوبهم .

وعندما جلسنا الى المائدة سأله أحد الكتبة قائلاً ، « أهو حقيقي انك أنت وتلاميذك تكسرون الشريعة بايقادكم ناراً يوم السبت ؟ »

فأجابه يسوع قائلاً ، « نحن بالحقيقة نوقد ناراً يوم السبت . فاننا نود أن نُنير يوم السبت ، ونحرق بشعالنا كل القش اليابس المتجمع في جميع الأيام . »

فقال له كاتب آخر ، « وقد أخبرونا انك تشرب خمراً مع غير الاتقياء في الفندق . »

فأجاب يسوع وقال ، « نعم ، وهذه ايضاً نتنعم بها . أفهل جئنا الى هنا الآنَ لنشاطر غير المتوجين فيكم رغيفهم وكأسهم ؟

« قليلون ، بل أقل من القليلين هم الذين لا ريش لهم ولكنهم يجرأون على مقاومة الريح ، وكثيرون هم المجنَّحون والمريّشون الذين ما برحوا في أعشاشهم .

« ونحن نطعم الجميع بمنقارنا ، الكسالى والمجتهدين بالسوية . »

فقال كاتب ثالث ، « ألم اسمع انك تحامي عن زواني اورشليم ؟ »

حينئذ رأيت بعيني كأن أعالي لبنان الصخرية قد ارتسمت على وجه يسوع ، فقال ، « نعم كل ما سمعتموه حقيق . »

« في يوم الحساب ستقف هؤلاء النساء أمام عرش ابي ، وسيتنقَّينَ بدموعهن . اما أنتم فسيُحكم عليكم بقيود دينونتكم .

« ان بابل لم تخرِبها الزواني ؛ ولكن بابل تحولت الى رماد لكي لا تنظر عيون المرائين فيها نور النهار فيما بعد . »

وكان كتبة آخرون يودون أن يسألوه ايضاً ، غير انني أشرت عليهم بالصمت ، لأنني عرفت انه سيخذلهم ؛ وبصفتهم ضيوفاً في بيتي لم اشأ أن تلحقهم اهانة .

وعند انتصاف الليل ترك الكتبة منزلي وقد تخلّعتْ نفوسهم .

حينئذ أغمضت عيني فرأيت ، كما لو كنت في رؤيا ، سبع نساء بثياب بيضاء واقفات حول يسوع . وكنّ واقفات بخشوع وقد صلّبن اذرعهن على صدورهن وأحنين رؤوسهن . واذ تأملت مليًا في ضباب حلمي نظرت وجه واحدة منهن ، فأشرق لامعًا في ظلمة خيالي .

وكان ذلك الوجه وجه الزانية التي عاشت في اورشليم .

ثم فتحت عيني ونظرت الى يسوع ، فاذا هو يتبسّم وينظر الي والى جميع الذين لم يتركوا المائدة .

فأغمضت عيني ثانية ، وهنالك رأيت في النور سبعة رجال بثياب بيضاء واقفين حول المعلم . وإذ تأملت فيهم عرفت وجهًا من وجوههم .

وكان ذلك الوجه وجه اللص الذي صلب فيما بعد عن يمينه .

. . . .

وبعد ذلك ترك يسوع وأصحابه منزلي وساروا في طريقهم .



ارملة فى الجليل

يسوع القاسى

كان ابني بكراً لي وكان الولد الوحيد الذي ولدته . وكان يشتغل في حقلنا ، وكان راضياً بعمله حتى سمع الرجل المدعو يسوع يخاطب الجموع . حينئذ تغير ابني فجأة ، كأن روحاً غريبة وغير صحيحة عانقت روحه .

فترك الحقل والبستان ، وتركني أنا أيضاً . وصار خاملاً يعيش بين رعاع الطريق .

ان ذلك الرجل ؛ المدعو يسوع الناصري ، شرير ، لانه أي رجل صالح يفصل ابناً عن والدته ؟

وكان آخر ما قاله لي ابني هكذا : « أنا ماض مع أحد تلاميذه الى البلاد الشمالية ، لأنني قد جددت بناء حياتي على صخرة الناصري . انت قد ولدتينني وأنا شاكر صنيعك ، ولكن الواجب الاسمى يدعوني الى الذهاب . أما أنا تارك لك أرضنا الغنية وكل ما لنا من الفضة والذهب . انني لن أحمل معي شيئاً الا هذا الثوب وهذه العصا . »

هكذا خاطبني ابني وفارقني .

واليوم قد قبض الرومانيون والكهنة على يسوع وصلبوه، وحسناً فعلوا .

فأن الرجل الذي يفرق الابن عن أمه لا يمكن ان يكون من الله .

والرجل الذي يرسل أولادنا الى مدن الأمم لا يقدر ان يكون لنا صديقاً .

أنني أعرف ان ابني لن يرجع اليَّ، فقد رأيت ذلك في عينيه، ولأجل هذا أبغض يسوع الناصري الذي سبب وحدتي في هذا الحقل الغير المفلوح وهذا البستان الذابل .

وقد أبغضت كل من يمدحه .

قيل لي منذ أيام أن يسوع قال مرة : « ان ابي وأمي وأخوتي هم الذين يسمعون كلامي ويتبعوني . »

ولكن، لماذا يجب على الأبناء ان يتركوا أمهاتهم ويتبعوا خطواته ؟

ولماذا يجب ان ينُسَ حليب ثديي في سبيل ينبوع لم يُذَق بعد ؟ وحرارة ذراعي يُعرَضُ عنها من أجل بلاد الشمال الباردة والممتلئة بالعداء ؟

ألا انني أبغض ذلك الناصري، وسأبغضهُ الى آخر أيامي، لأنه سرق بكري وحرمني وحيدي .

يهوذا نسيب يسوع

موت يوحنا المعمدان

حدث في ليلة من ليالي آب اننا كنا مع المعلم في مرج قريب من البحيرة . وقد أطلق القدماء على هذا المرج اسم مرج الجماجم .

وكان يسوع مضطجعاً على العشب يتأمل في النجوم .

وحدث فجأة أن رجلين ركضا الينا بأنفاس متقطعة . وكانت أمائر الالم مرتسمة على ملامحهما ، فركعا على قدمي يسوع

فوقف يسوع وقال لهما ، « من أين جئتما ؟ »

فأجابه أحدهما ، « من ماخاروس . »

فنظر اليه يسوع مضطرباً وقال ، « وما حلّ بيوحنا ؟ »

فأجابه الرجل ، « قد قتلوه اليوم . وقدقطعوا رأسه في سجنه . »

فرفع يسوع رأسه . ثم مشى بعيداً عنا قليلاً . وبعد هنيهة رجع ووقف في وسطنا .

فقال لنا ، « كان في منال الملك أن يقتل النبي قبل اليوم . بالحقيقة ان الملك قد جرب كل ملذات رعاياه . ولكن ملوك القدماء لم يكونوا بطيئين هكذا باعطاء رأس نبي الى صيادي الرؤوس .

« انني لست حزيناً من أجل يوحنا ، بل أنا حزين من أجل

هيرودس الذي سمح بسقوط السيف . مسكين هو الملك ، فهو كالحيوان الذي يقبضون عليه ويقودونه بحلقة وحبل .

« ما أشقى رؤساء الربع هؤلاء ، فانهم إذ يتيهون في ظلمتهم يعثرون ويسقطون . وهل ترجون من البحر القذِر الا أسماكاً ميتة ؟

« أنا لا أبغض الملوك . فليحكموا الناس ، ولكن على شرط أن يكونوا أحكم من الناس » .

ثم نظر المعلم الى وجهي الرسولين الكئيبين والى وجوهنا وخاطبنا ثانيةً وقال ، « قد ولد يوحنا مجروحاً ، وكان دم جرحه يفيض مع كلامه . فقد كان حرية لم تتحرر بعد من ذاتها ، وصبراً لا يعرف الا المستقيمين والابرار .

« بالحقيقة انه كان صوتاً صارخاً في أرض الذين لهم أذان ولا يسمعون ، وقد أجبته في كآبته ووحدته .

« وأحببت كبرياءه التي قدمت رأسها للسيف قبل أن تسلمه للتراب .

« الحق أقول ، ان يوحنا بن زكريا هو آخر أبناء جنسه ، وقد قتل كأسلافه بين عتبة الهيكل والمذبح . »

ثم مشى ثانيةً بعيداً عنا قليلاً .

وبعد دقيقة من الزمان رجع وقال ، « هكذا كان وهكذا

سيكون، إن الذين يحكمون ساعة سيقتلون الذين يحكمون أعواماً. وهكذا سيكون أبداً أنهم يعقدون مجالسهم ويحكمون على الرجل الذي لم يولد بعد، ويقضون بموته قبل أن يرتكب الجريمة.

« ان ابن زخريا سيعيش معي في ملكوتي وسيكون نهارهُ طويلاً. »

ثم التفت الى تلميذيّ يوحنا وقال، « لكل عمل غدهُ. وأنا نفسي قد أكون غداً لهذا العمل. فاذهبا الى أصدقاء صديقي وقولا لهم انني سأكون معهم. »

فانصرف الرجلان في طريقهما، وكانا أقل كآبة من الوقت الذي وصلا فيه.

أما يسوع فاضطجع على العشب ثانية وبسط ذراعيه وعاد الى التأمل في النجوم.

وكانت ساعة متأخرة من الليل. وكنت متكئاً بجانبه، أتوق الى الراحة من كل قلبي، ولكن يداً خفية كانت تقرع على بوابة نومي، ولذلك بقيت مستيقظاً حتى دعاني يسوع والفجر الى الطريق.



رجل من الصحراء

في الصيارفة

كنت غريباً في أورشليم . وقد أتيت الى المدينة المقدسة لأنظر الهيكل العظيم ، وأقدم ذبيحتي على المذبح ، لأن زوجتي ولدت صبيين توأمين لقبيلتي .

وبعد ان قدمت ذبيحتي وقفت في رواق الهيكل انظر الى الصيارفة وبائعي الحمام ، وأصغي الى الضجيج العظيم المتصاعد من الدار .

وفيما كنت واقفاً دخل رجل فجأة ووقف في وسط الصيارفة وبائعي الحمام .

وكان رجلاً وقوراً عظيماً ، وقد دخل بسرعة عجيبة .

وكان يحمل بيده حبلاً مصنوعاً من جلود التيوس ، فشرع يقلب موائد الصيارفة ويضرب بائعي الطيور بحبله .

وقد سمعته يقول بصوت عظيم ، « اطلقوا هذه الطيور في الجوّ الذي هو عشّها . »

وكان الرجال والنساء يهربون من أمام وجهه ، وهو يتحرك بينهم كما تتحرك زوبعة الرياح على تلال من الرمل .

كل هذا حدث بلحظة واحدة ، ففرغت دار الهيكل من

الصيارفة . ولكن الرجل وقف هنـاك وحده ، وكان أتباعه يقفون بعيداً عنه .

ثم أدرت وجهي فرأيت رجلاً آخر في رواق الهيكل .فسرت اليه وقلت له « هل لسيدي أن يخبرني من هو هـذا الرجل الواقف وحده كأنه هيكل ثان؟ » فأجابني وقال ، « هذاهو يسوع الناصري، النبي الذي ظهر أخيراً في الجليل . ولكن جميع الناس هنا في أورشليم يبغضونه . »

فقلت ، « ان في قلبي من القوة ما يحملني لأن أكون مع سوطه ، وفيه من الاستسلام ما يحملني للسجود أمام قدميه . »

أما يسوع فانه رجع الى رفقائه الذين كانوا ينتظرونه . ولكنه قبل أن يصل اليهم ، رجع ثلاث حمامات من حمام الهيكل فحطت واحدة على كتفه اليسرى والاثنتان عند قدميه ، فوضع يده بلطف عجيب على كل منهـا . ثم تابع سيره ، وكان في كل خطوة من خطواته فراسخ عديدة .

بربكم اخبروني بأية قوة ضرب المئات من الرجال والنساء وفرقهم من غير أقل مقاومة ؟ فقد قيل لي انهم كلهم أبغضوه ،ولكن لم يجرؤ أحد أن يقف أمامه في ذلك اليوم . فهل قلع أنياب البغض في طريقه الى دار الهيكل ؟

بطرس

في مستقبل التلاميذ

ذهب بنا يسوع مرةً عند غروب الشمس الى قرية بيت صيدا. وكان التعب آخذاً مأخذه من جماعتنا، وكان غبار الطريق محيقاً بنا. فأتينا الى منزل كبير في وسط بستان جميل، وكان رب البيت واقفاً أمام البوابة.

فقال له يسوع، «ان هؤلاء الرجال تَعِبُون وقد تقرحت أقدامهم من المشي، فدعهم ينامون في بيتك. فان الليلة باردة وهم في حاجة الى الحرارة والراحة.»

فأجاب الغني وقال، «انهم لن يناموا في بيتي.»

فقال له يسوع، «فاسمح لهم اذن أن يناموا في بستانك.»

فأجاب الرجل، «كلا، ولا أسمح لهم بالنوم في بستاني.»

ثم التفت يسوع الينا وقال، «ان هذا مثال مما ستصيرون اليه في الغد، وهذا الحاضر يشبه مستقبلكم. ان جميع الابواب ستقفل في وجوهكم، حتى ان البساتين المتكئة تحت النجوم ستقفل أبوابها دونكم.

«فاذا صبرت أقدامكم على عناء الطريق وثبتم، تتبعونني، فانكم

قد تجدون طستاً وفراشاً ، وربما خبزاً وخمراً أيضاً . ولكن اذا حدث ولم تجـدوا شيئاً من هذا ، فلا تنسوا في ذلك الوقت انكم قد عبرتم صحراء واحدة من صحارى معلمكم .

« هلم بنا نمضى من هنا . »

أما الرجل الغني فانه كان مضطرباً ، وقد تغيّر لون وجهه ، وكان ينطق بكلمات لم أسمعها ، فتحول عنا وارتد الى بستانه .

وهكذا تبعنا يسوع على الطريق .



ملاخي الفلكي البابلي

في عجائب يسوع

تسألونني عن عجائب يسوع .

في كل ألف الف سنة تجتمع الشمس والقمر وهذه الأرض وجميع شقيقاتها السيارات في خط مستقيم ، ويتباحثن معاً هنيهة واحدة .

ثم يتفرقنَ ببطء وينتظرن مرور ألف الف سنة أُخرى .

لا عجائب في الوجود وراء الفصول ، ولكن أنت وأنا لا نعرف كل الفُصول . وما قولك في فصل كامل يتجسد بشكل رجل واحد؟

في يسوع اجتمعت كل عناصر اجسادنا وأحلامنا طبقاً للشريعة . وكل ما كان من قبله سابقاً لاوانه قد وجد فيه أوانه .

يقولون انه كان يعطي العميان بصراً والمقعدين مقدرةً على المشي ، وانه كان يخرج الشياطين من المجانين .

قد لا يكون العمى الا فكرةً مظلمة يمكن التغلب عليها بفكرة ملتهبة . وقد لا يكون العضو المشلول الا خمولاً يمكن إيقاظه بالقوة المتحركة . وقد يكون ان الشياطين ، وهي العناصر القلقة في حياتنا ، تخرجهم منا ملائكة السلامة والطمأنينة .

ويقولون انه أعاد الموتى الى الحياة. فاذا كنت تقدر أن تخبرني ما هو الموت، فأنا حينئذ أخبرك ما هي الحياة.

نظرت مرةً في أحد الحقول بلوطةً هادئةً لا قيمة لها ولا شأن. وعدت في الربيع فرأيت تلك البلوطة تمدّ جذورها في الأرض وتنهض لتصير سنديانة جبارة أمام وجه الشمس.

أنت ولا شك تحسب هذا اعجوبةً، ولكن هذه الاعجوبة تُجْتَرَح ألف الف مرة في غفلة كل خريف وشوق كل ربيع.

فماذا يمنع حصولها في قلب الانسان؟ افلا تقدر الفصول أن تجتمع في يد انسانٍ ممسوح أو على شفتيه؟

فاذا كان آلهنا قد منح الأرض أن تحتضن البزور في حين ان البزور ميتة بحسب الظاهر، فلماذا لا يمنح قلب الانسان ان ينفخ نسمة الحياة في قلب آخر، وان كان هذا القلب ميتاً بحسب الظاهر؟

* * *

قد تكلمت عن هذه العجائب التي لا اعيرها سوي القليل من الانتباه تجاه الاعجوبة الكبرى، التي هي الرجل نفسه، العابر السبيل، الرجل الذي حول نفاية الصدأ فيّ الى ذهب وهاج، وعلمني كيف أحب الذين يبغضونني. وبعمله هذا حمل الي التعزية الكاملة وكلّل نومي بالأحلام اللذيذة.

هذه هي الاعجوبة في حياتي .

كانت نفسي عمياء ، وكانت نفسي عوجاء . وكان في اعماقي كثير من الأرواح القلقة ، وكنت ميتاً .

أما اليوم فانا أرى بوضوح ، وامشي مستقيماً . وقد عاودتني سلامتي ، وأنا اعيش لاشهد وأُعلن عجائب كياني في كل ساعة من النهار .

وأنا لست من اتباعه . بل أنا فلكي شيخ ازور حقول الفضاء مرةً في كل فصل ، واحترم الشريعة وأصدق بعجائبها .

أنا الآن في شفق زماني ، ولكنني كلما فتشت عن فجره انما افتش بالحقيقة عن [illegible]ع .

ان العمر [illegible]اً . ولكن بي تفتش المعرفة عن الرؤيا.



فيلسوف

﴿ في العجب والجمال ﴾

عندما كان معنا كان ينظر الينا والى اعمالنا بعين العجب، لأن عينيه لم تقنعا ببرقع السنين، وكل ما رآه كان واضحاً في نور شبابه.

ومع انه سبر غور الجمال، فقد كان يندهل ابداً أمام سلامه وجلاله؛ وقد وقف أمام الأرض كما وقف الانسان الأول أمام اليوم الأول.

أما نحن الذين تخدرت حواسنا، فاننا ننظر في نور النهار الكامل ولكننا لا نرى شيئاً. فنحن نحجم اذاننا ولكنا لا نسمع؛ ونمد أيدينا ولكننا لا نلمس. ولو احترق أمامنا كل بخور العربية فاننا نسير في طريقنا من غير أن نشتمّ رائحة.

نحن لا نرى الزارع عائداً من حقله عند المساء؛ ولا نسمع مزمار الراعي وهو يقود قطيعه الى العلف؛ ولا نمد أذرعنا لنلامس غروب الشمس، ومشامّنا لا تجوع فيما بعدُ لعبير زهور شارون.

أجل، نحن لا نكرم ملوكاً بدون ممالك، ولا نسمع انغام القيثارة مالم نضع أوتارها بأيدينا، ولا نرى الولد الذين يلعب في

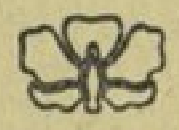
بستان زيتوننا كما لو كان هو نفسه شجرة من الزيتون . وجميع الأقوال يجب أن تخرج من شفاهٍ من اللحم والآ فنحن نحسب بعضنا بعضاً خُرساً وصُماً

بالحقيقة اننـا ننظر ولا نُبْصر، ونصغي ولا نسمع ، ونأ كل ونشرب ولكننا لا نذوق . وفي جميع هذا يقوم الفرق الأولي بين يسوع الناصري وبيننا .

فقد كانت جميع حواسه تتجدّد فيه ابداً ، وكان العالم في نظره جديداً دائماً .

ولم يكن نظره الى تمتمة الطفل بأقل من نظره الى صراخ الانسانية بكاملها ، في حين انها في نظرنا تمتمة طفل لا اكثر ولا أقل.

وكان جذر الشقيق الأصفر في عقيدته حنيناً الى الله ، ولكنه ليس في نظرنا سوى جذر بسيط .



أوريا الشيخ الناصرى

كان غريباً فى وسطنا

كان غريباً في وسطنا ، وكانت حياته مستورة تحت نقاب مظلم.
لم يسرْ في طريق الهنا ، ولكنه اتبع طرق الأشرار والارديا .
قد ثارت صبوته ورفضت حلاوة الحليب الذي في طبيعتنا .
وكان شبابه ملتهباً كالقش اليابس المحترق في الليل .
وعندما صار رجلاً حمل السلاح ضدنا جميعاً .

ان أمثال هؤلاء الرجال يُحبل بهم في جَزْر اللطف البشري ، ويولدون في العواصف الشريرة . وفي العواصف الهوجاء يعيشون يوماً ثم يهلكون الى الأبد .

الا تتذكرونه جيداً وهو في عهد الفِطام ، يجادل شيوخنا العلماء . ويهزأ بجلالهم ووقارهم ؟

أفلا تذكرون شبابه ، إذْ عاش بين المنشار والأزميل ؟ رافضاً أن يرافق أبناءنا وبناتنا في أيام الأعياد ومختاراً العزلة لنفسه ؟

ولم يكن يردّ تحية لمن يحييه من المارّة كأنّ طينتهُ أرفع من طينتنا .

قد رأيته أنا نفسي مرةً في الحقل ، فحييته ، فابتسم فقط ، فرأيت في ابتسامته غطرسة واحتقاراً .

وبعد ذلك بقليل من الزمن ذهبت ابنتي الى الكرم مع رفيقاتها لتقطف العنب ، وهي ايضاً خاطبته فلم يردّ عليها جواباً .

بيد انه وجه خطابه لجميع العاملات في الكرم ، كأن ابنتي لم تكن معهنّ .

وعندما ترك أهله وهام في البلاد خسر كل شيء وصار ثرثاراً . وكان صوته كالمخلب ينشب في أجسادنا ، ولا يزال صدى صوته ألماً في ذاكرتنا .

انه لم يتكلم بغير الشرّ عنا وعن آبائنا وأجدادنا . وكان لسانه كالسهام المسمومة في قلوبنا .

هذا هو يسوع .

ولو كان هذا ابناً لي لكنت أرسلته مع جيوش الرومانيين الى بلاد العرب ، ولكنت طلبت الى القائد أن يضعه في مقدمة المقدمة من الجيش في ساحة الحرب لتذهب به سهام العدو وتحررني من غطرسته ووقاحته

ولكن لا ابن لي وأنا شاكر ربي على ذلك . لأنه ماذا كان يصيبني لو ان ابني كان عدواً لشعبه ، وكان شعري الأبيض اليوم يطلب الرماد في عاره ولحيتي البيضاء تُحتقر وتهان ؟

نيقوذيموس الشاعر

اصغر الشيوخ في السنهدريم

كثيرون هم الاغبياء الذين يقولون ان يسوع وقف في طريق نفسه وقاوم ذاته ، وانهُ لم يعرف فكره ، وفي ضياع هذه المعرفة عمل على تضليل ذاته .

بالحقيقة ما اكثر البوم التي لا تعرف من الأغاني غير ماشابه نعيبها.

أنا وأنت نعرف مشعوذي الكلام الذين لا يحترمون الا من كان اكبر شعوذة منهم ، هؤلاء هم الذين يحملون رؤوسهم في سلال الى السوق ويبيعونها بأول ثمن يُعرض عليهم .

نحن نعرف الأقزام الذين يتحاملون على من تلمس رؤوسهم السماء . ونعرف ما يقوله العوسج عن السنديانة والأرزة .

انني أشفق عليهم لأنهم لا يقدرون أن يصعدوا الى الاعالي .

انني أشفق على الشوكة الجافة في حسدها للدردار الذي يجرؤ على الفصول .

ولكن الشفقة ، ولو أحاط بها أسف جميع الملائكة ، فهي لا تحمل لهم نوراً .

انني أعرف اللعين[1] الذي يتمايل بأثوابه الرثة على أذنات الزرع، ولكنهُ ميت امام الزرع وامام الريح المترنمة .

وأعرف العنكبوت التي لا جناح لها تحيك الشباك لاصطياد كل ذي جناح .

وأعرف الماكرين ، ونافخي الأبواق وضاربي الطبول ، الذين لا يستطيعون في وفرة ضجيجهم أن يسمعوا قنبرة السماء ولا الريح الشرقية في الغابة .

وأعرف الذي يجذّف في جميع الجداول ولكنه لا يجد الينبوع، ويركض مع جميع الأنهار ولكنهُ لا يجرؤ على السير الى البحر .

وأعرف الذي يقدم يديهِ البليدتين الى رئيس البنائين في الهيكل، وعند ما تُرفَض يداه البليدتان ينبري قائلاً في ظلمة قلبهِ « سأهدم كل ما سيُبنى . »

« انني أعرف جميع هؤلاء . فهم الذين يعترضون على أن يسوع قال مرة ، « انني أحمل سلاماً لكم » ، وفي مرة ثانيـة قال ، « انني أحمل سيفاً . »

فهم لا يقدرون أن يفهموا انهُ نطق بالحقيقـة عندما قال ،

---

(١) ما ينصب في وسط الزرع كهيئة رجل تُستَطرد به الوحوش .

« انني أحمل سلاماً لأبناء السلامة ، وأضع سيفاً بين من يحب السلام ومن يحب السيف . »

ويتعجبون كيف ان الذي قال ، « ان مملكتي ليست من هذا العالم » ، قال أيضاً ، « اعطوا ما لقيصر لقيصر » ، ولكنهم لا يعلمون انهم اذا رغبوا بالحقيقة في أن يكونوا أحراراً ليدخلوا ملكوت رغبات قلوبهم ، فالواجب يقضي عليهم ألاَّ يقاوموا الحارس الواقف على بوابة حاجاتهم . ففي مصلحتهم أن يدفعوا ذلك الرسم الحقير ليدخلوا الى تلك المدينة .

هؤلاء هم القائلون ، « قد علم باللطف والحنان والمحبة العائلية ، ولكنهُ لم يحفل بأمه واخوته عندما كانوا يفتشون عنهُ في شوارع اورشليم . »

وهم لا يعلمون أن أمه واخوته كانوا يودون في مخاوف محبتهم أن يرجعوه الى مصنع النجار ، أما هو فكان يريد أن يفتح عيوننا لنبصر فجر يوم جديد .

ان امه وأخوته كانوا يريدون أن يعيش في ظل الموت ، أما هو فقد استشهدَ الموت على تلك التلة ليظل حياً فى ذاكرتنا التي لا تنام .

انني أعرف هذه المناجذ التي تحفر الانفاق بدون غاية معروفة . أليسوا هم الذين يتحاملون على يسوع بقولهم انهُ كان يعظم نفسهُ

عندما قال للجموع ، « أنا الطريق والباب للخلاص ، » وانه دعا نفسه الحياة والقيامة .

ولكن يسوع لم يدّع لنفسه أكثر مما يدعي شهر ايار في مدّه .

أفما كان له أن يعلن الحقيقة اللامعة لأن لمعانها كان شديداً ؟

فقد قال بالحقيقة انه الطريق والحيـاة والقيامة للقلب ؛ وأنا نفسي أشهد بصحة هذا القول .

أفلا تتذكرونني ، أنا ينقوديموس ، الذي لم يؤمن بغير الشريعة وأوامر الناموس ، وكان في مقدمة الطائعين للقانون ؟

فانظروا اليّ الآن ، تروا رجلا يمشي مع الحياة ، ويضحك مع الشمس من ابتسامتها الأولى للجبال حتى تسلم نفسها الى فراشها وراءَ التلال .

لماذا تتوقفون أمام كلمـة « الخلاص » ؟ فأنا نفسي بواسطته حصلت على خلاصي .

فلا يهمني اليوم ما سيصيبني في الغد ، لأنني أعرف ان يسوع انعش منامي وجعل لي من أحلامي البعيدة رفقاء وأصدقاء للطريق .

فهل اصير أصغر من انسان اذا آمنت بمن هو أعظم من انسان؟

ان حواجز اللحم والدم قد سقطت عندما خطبني شاعر الجليل؛ وقد قبضت عليَّ روح ، فارتفعتُ الى الأعالي ، وفي وسط الهواء جمعت أجنحتي أغنية الهواء النقي .

وعندما نزلت عن متن الريح وظهرت غرابة آرائي في السنهدريم، فانني حتى فى ذلك المجلس الأعلى لم أخسر اغنيتي ، لأن طلوعي ، التي هي أجنحتي بغير ريش ؛ قد احتفظت بالأغنية وحرستها . وكل ما في الأرض الحقيرة من الفقر المدقع لن يستطيع أن يسلبني كنزي .

قد تكلمت بما فيه الكفاية . دع الطرش يدفنون تمتمة الحياة في اذانهم الميتة . فأنا راض بأنغام قيثارته ، التي كان يحملها ويضرب على أوتارها عندما سمروا يدي جسده على الصليب ونزفت منهما الدماء .



يوسف الذي من الرامة

بعد عشر سنوات

﴿ الجدولان النابعان من قلب يسوع ﴾

كان في قلب الناصري جدولان يجريان : جدول القرابة مع الله الذي سماهُ أباً ، وجدول الهيام الذي دعاه ملكوت العالم العلوي.

وفي عزلتي طالما فكرت فيه وتبعت هذين الجدولين النابعين من قلبه . فعلى حافة الجدول الأول وجدت نفسي ، وكانت نفسي تارة متسولة وهائمة ، وطوراً أميرة في بستانها .

ثم تبعت الجدول الثاني في قلبه ، وفي طريقي وجدت رجلاً ضربه اللصوص وسرقوا ذهبه ، ولكن الابتسامة لم تفارق شفتيه . ولكنني لم أبعد قليلا حتى وجدت اللصوص الذين سرقوه. وبعد أن تأملت في وجوههم رأيت على وجناتهم دموعاً لم تذرفها عيونهم بعد.

ثم سمعت خرير هذين الجدولين في أعماقي أنا أيضاً ، فامتلأت بهجة .

عندما زرت يسوع ، قبل ان قبض عليه بيلاطس البنطي والشيوخ بيوم واحد، تكلمنا ملياً ، وسألته أسئلة كثيرة ، وقد أجاب

على جميع مسائلي بكمال المسرة . وعندما تركته عرفت أنه هو الرب والسيد لهذه الأرض التي نعيش فيها .

قد سقطت الارزة منذ عهد طويل ، ولكن عطرها سيقيم أبداً، وستنشد زوايا الأرض الأربع إلى الأبد .



جاورجيوس البيروتى

في الغرباء

كان يسوع مع أصدقائه في حرج الصنوبر وراء سياجي ، وكان يخاطبهم .

فوقفت قريباً من السياج أتسمع على كلامه . فقد عرفته من هو ، لأن شهرته وصلت الى هذه الشواطئ قبل أن زارها هو .

وعندما فرغ من كلامه تقدمت اليه وقلت له ، « هلمّ ياسيدي مع هؤلاء الرجال وشرفني وشرف منزلي بزيارتك . »

فنظر الي متبسماً وقال ، « ليس فى هذا اليوم ، ياصاح . ليس في هذا اليوم . »

وكان في كلماته بركة ، وشعرت بأن صوته يضمني كالرداء الصوفي فى ليلة باردة .

ثم التفت نحو أصدقائه وقال ، « انظروا رجلاً لا يحسبنا غرباء ، ومع أنه لم ينظرنا قبل اليوم فهو يدعونا الى بيته .

« بالحقيقة أنه لايوجد غرباء فى ملكوتي . ان حياتنا هي حياة جميع الناس ، وقد أعطيناها لنعرف جميع الناس ، وبتلك المعرفة نحبهم

« ان أعمال جميع الناس هي أعمالنا بعينها ، الخفية والظاهرة .

«استحلفكم الاّ تكونوا ذاتاً واحدة ، بل ذواتاً عديدة – مالك البيت ومن لا بيت له ، الزارع والزرزور الذي يلتقط الحبوب قبل أن تنام فى الأرض ، المعطي الذي يعطى بشكر ، والمستعطي الذى يأخذ بكبرياء ومعرفة .

« ان جمال النهار لا يقتصر على ما ترونه أنتم ، بل يشمل ما يراه غيركم أيضاً .

« لأجل هذا قد اخترتكم من بين الكثيرين الذين اختاروني .»

ثم نظر الي وتبسَّم ثانية وقال ، « اننى أقول كل هذا لك انت أيضاً ، وأنت أيضاً ستذكر كلماتي . »

ثم توسلت اليه قائلا ، « يا سيدي أفلا تزورنى في بيتي ؟ »

فأجاب ، « انى أعرف قلبك ، وقد زرت بيتك الأكبر . »

وعند ما مشى قليلا مع تلاميذه قال ، « أسعد الله مساءك ، وليكبّر الله بيتك حتى يؤاوى جميع الهائمين في هذه الارض . »



مريم المجدلية

كان فمه كقلب الرمانة

كان فمه كقلب الرمّانة ، وكانت اظلال عينيه عميقة .

وكان لطيفاً ، كالرجل الذي يعرف قوته .

قد رأيت فى أحلامي ملوك الأرض واقفين احتراماً فى حضرته.

انى أود أن أتكلم عن وجهه ، ولكن كيف أستطيع ذلك ؟

فقد كان كالليلة التى لا ظلمة فيها ، وكالنهار الذي لا يعرف ضجيج النهار .

كان وجهاً كئيباً ، ولكنه كان ممتلئاً فرحاً .

انني اتذكر جيداً كيف رفع يده مرة نحو السماء ، فبدت أصابعه المتفرقة كاغصان الدردار .

واذكره جيداً وهو يقيس الماء بخطواته انه لم يكن يمشي . فهو نفسه كان طريقاً فوق الطريق ، كما أن السحابة التى فوق الأرض تنحدر لتنعش الأرض .

بيد انني عندما وقفت أمامه وخاطبته ، كان رجلاً ، وكان وجهه يملأ عين الناظر اليه قوة . وقد قال لي ، « ماذا تريدين يا ميريام ؟ »

انني لم أجاوبه ، ولكن أجنحتي احتضنت سري ، فسرت الحرارة في جسدي .

واذ لم أقدر على احتمال نوره تركته ومررت في طريقي ؛ ولكن عاري فارقني . ولم يبق لي سوى الحياء فقط ، والرغبة في أن أكون وحدي لتضرب أصابعه على أوتار قلبي .



﴿ يوثام الناصرى الى أحد الرومانيين ﴾

(فى الحياة والوجود)

أنت يا صديقي كجميع الرومانيين تود أن تتصور الحياة أكثر من أن تحياها . وتفضل أن تحكم الأرض ولا تكون محكوماً من الروح .

أنت تفضل أن تقهر الشعوب فيلعنك أبناؤهم ، من أن تبقى في رومية فتعيش مباركا سعيداً .

أنت لا تفكر الا في الجيوش الزاحفة والسفن الماخرة في البحر .

اذن كيف تستطيع أن تفهم يسوع الناصري ، الرجل البسيط الوحيد ، الذي جاءَ بغيرِ الجيوش والسفن ، ليؤلف مملكةً في القلب وامبراطورية في حرية فضاء النفس ؟

كيف تقدر أن تفهم هذا الرجل الذي لم يكن محارباً ولكنه جاءَ بقوة الأثير القدير ؟

فهو لم يكن الهاً ، بل كان انساناً مثلنا ، ولكن فيه نهض مرُّ الأرض ليلاقي لبان السماء ؛ وفي كلماته تعانقت تمتمتنا مع همس الغير المنظور ؛ وفي صوته سمعنا انشودة لا يُسبر غورها .

نعم ، كان يسوع انساناً ولم يكن الاهاً ، وفي هذا منتهى عجبنا ودهشتنا .

ولكن أنتم الرومانيين لا تتعجبون الاّ أمام الالهة ، وما من رجل يدهشكم . لأجل ذلك لا تفهمون الناصريّ .

فقد اختصّ هو بشباب الفكر ، أما أنتم فقد اختصصتم بشيخوخته .

أنتم تحكموننا اليوم ؛ ولكن فلننتظر يوماً آخر .

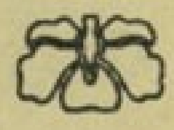
من يدري اذا كان هذا الرجل الذي لا جيوش ولا سفن لديه سيحكم الغد ؟

نحن الذين نتبع الروح ستنسكب أعراقنا دماء في سفرنا وراءه . ولكن رومية ستضطجع كالهيكل العظمي في الشمس .

نحن سنتألم كثيراً ، ولكننا سنصبر وسنعيش . ولكن رومية يجب أن تصير الى التراب .

ولكن اذا كانت رومية ، بعد أن توضع من رفعتها وتصير الى ضعتها ، تتلفظ باسمه فانه يصغي الى صوتها وينفخ في عظامها نسمة حياة جديدة لتنهض ثانية مدينة حية بين مدن الارض .

كل هذا سيفعله بغير جُيوش ولا عبيد يجذفون في قواربه . لأنه سيكون وحيداً .



افرايم من أريحا

(وليمة العرس الثاني)

عندما جاء ثانية الى أريحا ذهبت اليه وقلت له ، « يا معلم ، غداً يتخذ ابني لنفسه زوجة . فأرجو من فضلك أن تحضر الى وليمة العرس وتشرفنا بحضورك ، كما شرَّفت العرس في قانا الجليل . »

فأجاب وقال ، « بالحقيقة انني كنت ضيفاً في وليمة عرس مرةً ، ولكنني لن أكون ضيفاً ثانيةً . فأنا نفسي اليوم عروس . »

فقلت له ، « أتوسل اليك يا معلم أن تأتيَ الى وليمة عرس ابني . »

فتبسّم كأنه يريد أن يوبخني ، وقال ، « لماذا تتوسل الي ؟ الا يوجد عندك كفاية من الخمر ؟ »

فقلت له ، « ان أزقة الخمر ممتلئة يا معلم ؛ بيد انني اتضرع اليك أن تحضر الى وليمة عرس ابني . »

حينئذ قال لي ، « من يدري ؟ فقد أحضر ، نعم قد أحضُر اذا كان قلبك مذبحاً في هيكلك . »

وفي الغد تزوج ابني ، ولكن يسوع لم يأت الى وليمة العرس .

ومع انه جاءنا ضيوف كثيرون ، فقد شعرت بأنه لم يأت أحد .
بالحقيقة انني أنا نفسي الذي استقبل الضيوف ، لم أكن هناك .
ومن يدري ؟ فلعل قلبي لم يكن مذبحاً عندما دعوته . وقد
أكون رغبت في اعجوبة ثانية .



برقا التاجر الصوري

في البيع والشراء

في عقيدتي انه لا اليهود ولا الرومانيون فهموا يسوع ، حتى ولا تلاميذه أنفسهم الذين يبشرون اليوم باسمه .

فالرومانيون قتلوه ،وهذه كانت زلة لهم . والجليليون أحبوا أن يصنعوا منه إلاهاً ، وهذه كانت غلطة لهم .

كان يسوع من قلب الانسان .

قد قطعت البحار السبعة بمراكبي ، وتعاملت مع الملوك والأمراء والمحتالين والخداعين في ساحات المدن القصية ؛ ولكنني لم أر رجلاً يفهم التجار كما فهمهم يسوع .

سمعته مرة يضرب هذا المثل ؛ قال :

« سافر أحـد التجار من بلاده الى بلاد غريبة . وكان له خادمان ، فأعطى كلاً منهما قبضة من الذهب وقال لهما ، كما انني امضي الى بلاد الغربة وراء الربح هكذا يجدر بكما أن تطلبا الربح من أموالكما . فاعتصما بالدقة في معاملة الناس أخذاً وعطاء . »

« وبعد سنة رجع التاجر . فسأل خادميه عما فعلاه بذهبه . فقال له الخادم الأول : تأمل يا سيدي ؛ فقـد بعت واشتريت

وربحت ،فأجابه التاجر وقال : الربح هو لك ؛ لأنك تصرفت حسنًا وكنت أمينًا لي ولنفسك » .

« ثم وقف الخادم الثاني وقال له : يا سيدي قد خفت أن اخسر أموالك ولذلك لم أشتر ولم أبع . وهوذا مالك كله في هذا الكيس : فأخذ التاجر ذهبه وقال له : يا قليل الايمان ؛ انك لو تاجرت وخسرت لكان ذلك خيراً لك من أن تكون كسولاً . لأنه ، كما أن الزرع تفرق البزور وتنتظر الاثمار هكذا يجب أن يفعل كل التجار . لذلك كان الأجدر بك أن تخدم الاخرين . »

وعندما تكلم يسوع بهـذا ، فانه وان لم يكن تاجراً ، فقد كشف القناع عن سر التجارة .

وفوق هذا فان أمثاله كثيراً ما كانت تحمل الى فكري بلداناً أبعد من أسفاري ؛ ولكنها أقرب من بيتي ومقتنياتي .

ولكن الناصري الشاب لم يكن الهاً ؛ ويؤلمني أن ارى اتباعه يسعون أن يعملوا من هذا الحكيم الهاً .





فومية

« رئيسة كاهنات صيدا »

الى رفيقاتها الكاهنات

احملنَ أعوادكن لأغني .

اضربن على الاوتار الفضية والذهبية ؛ فاني أريد أن اترنم بذكرى الرجل الشجاع الذي قتل وحش الوادي ؛ ثم جلس ينظر الى ما قتل بعين الشفقة .

احملنَ اعوادكنَّ لنغني معاً للسنديانة الرفيعة على الاعالي ،

لنترنم بذكرى الرجل الذي يلمس قلبه السماء وتحيط يده بالاوقيانوس ،

الذي قبَّل شفتي الموت الشاحبتين ، ولكنه يرتجف الآن أمام فم الحياة .

احملنَ اعوادكن لنغني معاً للصياد الجريء على التلة ، الذي اهتدى الى الحيوانِ ، واطلق سهمه الغير المنظور ، فاسقط القرن والناب الى الأرض .

احملن اعوادكن لنغنى معاً للشاب الباسل الذي غلب مدن الجبال ، ومدن السهول المتجمعة كالافاعي في الرمال . فهو لم يحارب ضد الاقزام بل ضد الالهة الجائعة للحمنا والمتعطشة لدمنا .

وكالصقر الذهبي الأول لم يزاحم غير النسور ، لأن أجنحته كانت كبيرة وفخورة ، فلم تشأ أن تضرب من هو أضعف منها جناحاً .

احملن اعوادكن لنغنى معاً أغنية البحر والجرف .

فالالهة قد ماتوا ، وهم مضطجعون بهدوء فى الجزيرة المنسية فى البحر المهجور . أما الذي قتلهم فانه جالس على عرشه . قد كان فى شرخ شبابه . لأن الربيع لم يكن قد أعطاه لحيــة ، وكان صيفه فتياً فى حقله .

احملن اعوادكنَّ لنغنى معاً للعاصفة فى الغابة ، التي تحطم الغصن اليابس والفرع العاري من الورق ، بيد أنها ترسل الجذر الحيَّ ليمعن فى امتصاص حليبه من ثدي الأرض .

احملن اعوادكن لنترنم معاً بانشودة حبيبتنا الخالدة .

مهلاً يا رفيقاتي ، ولا تضربن على اوتاركن .
اتركن اعوادكن . فنحن لا نقدر أن نغنى له الآن .

لأن الهمس الضعيف الذي تبعثه الحاننا لا يقدر أن يصل الى عاصفته ، ولا قوة له على اختراق عظمة صمته .

اتركن اعوادكن وتجمعن حواليَّ ، لأعيد أقواله على مسامعكن، واخبركن بأعماله ، لأن صدى صوته هو اعمق من محبتنا .



بنيامين الكاتب

« دع الاموات يدفنون موتاهم »

يقولون ان يسوع كان عدواً لرومية ولليهودية .

أما انا فأقول ، ان يسوع لم يكن عدواً لا لانسان ولا لجنس من الناس

فقد سمعته يقول ، « ان طيور الجو وقنن الجبال لا تهتم بالافاعي في انفاقها .

« دع الموتى يدفنون موتاهم . والبس أثواب ذاتك بين الأحياء ، وحلق رفيعاً . »

لم أكن من تلاميذه . ولكنني تبعته مع الجماهير الكثيرة التي تبعته للتأمل في وجهه .

وكان ينظر الى رومية ، والينا نحن عبيد رومية ، كما ينظر الأب الى أولاده اللاعبين بلعبهم وهم يتخاصمون فيما بينهم على اللعبة الكبيرة . وكان يضحك من أعاليه .

أجل ، كان يسوع أعظم من الولاية والأمة ؛ بل كان أعظم من الثورة .

كان وحيداً منفرداً ، وكان يقظة كاملة .

وقد بكى كل ما لم نسكبه من الدموع وتبسّم كل ثورتنا وتمردنا .
ونحن قد عرفنا انه كان في طوقة أن يولد مع جميع الغير
المولودين بعدُ ، فيساعدهم على أن يروا ، ليس بعيونهم ، بل ببصيرته .
كان يسوع بداءَةَ لمملكةٍ جديدة على الأرض ، ولن يكون
لتلك المملكة انتهاء .

فقد كان ابناً وحفيداً لجميع الملوك الذين بنوا مملكةَ الروح .
ولم يحكم عالمنا أحدٌ قط الا ملوك الروح .



زكا

في مصير يسوع

أنتم تؤمنون بما تسمعونه يقال أمامكم . فآمنوا بالأحرى بما لا يقال ، لأن صمت الناس أقرب الى الحقيقة من أقوالهم .

وتسألون اذا كان يسوع قادراً أن يتخلص من عار موته وينقذ اتباعه من الاضطهاد .

وأنا أجيب ، انه بالحقيقة كان قادراً أن يتخلص من الموت لو أراد ، بيد انه لم يطلب السلامة ، ولم يهمه أن يحمي قطيعه من ذئاب الليل .

فقد عرف قسمته، وعرف ما يحمله الغد لمحبيه المخلصين . ولذلك سبق فانبأ بما سيصيب كل واحد منا . انه لم ينشد موته ، ولكنه قبل الموت ، كما ان الفلاح الذي يواري حنطته في قلب الأرض يقبل الشتاء ، ثم ينتظر الربيع والحصاد . وكما يضع البنّاء أكبر الحجارة في الأساس .

ان جماعته قد تألفت من رجال من الجليل ومن منحدرات لبنان . وكان في منال معلمنا أن يرجع بنا الى بلادنا فنعيش مع شبابه في بساتيننا حتى تأتي الشيخوخة فتردنا الى قلب السنين .

هل قام في طريقه حاجز يرده الى هيا كل ضياعنا حيث كان الناس يقرأون الانبياء ويحسرون القناع عن قلوبهم ؟

ألم يقدر أن يقول ، « ها أنا ماض الى الشرق مع الريح الغربية » وبقوله هذا يصرفنا بابتسامة على شفتيه ؟

نعم ، كان قادراً أن يقول لنا ، « ارجعوا الى أهلكم . لأن العالم غير مستعد لاستقبالي . ولذلك سأرجع الف سنة من هنا . فعلموا أولادكم أن ينتظروا عودتي . »

فقد كان قادراً على كل هذا لو أراده .

ولكنه عرف انه لكي يبني الهيكل الغير المنظور يجب عليه ان يضع نفسه حجر زاوية في أساسه ، ويضعنا حواليه حصى صغيرة تلتصق به لقوام البناء .

وعرف ايضاً ان عصارة شجرته الممتدة أغصانها في السماء لا تأتي الا من جذورها ، ولذلك سكب دمه على جذورها ، ولم يحسب ذلك ضحية بل ربحاً .

الموت يكشف الاسرار . وقد كشف موت يسوع سرّ حياته .

فلو انه هرب لكنتم أنتم واعداؤه قد غلبتم العالم . ولذلك لم يهرب .

لأنه ما من رجل يربح الكل إلا اذا أعطى الكل

نعم ،نعم ، كان في مقدرة يسوع أن يهرب ويعيش الى شيخوخة

كاملة . ولكنه عرف مرور الفصول، ورغب في ترنيم انشودة نفسه .

أي رجل يجابه عالماً متسلحاً ولا يفضل أن ينغلب لحظة لكي يسود على جميع الاجيال ؟

والآن تريدون أن تعرفوا من قتل يسوع بالحقيقة ، الرومانيون أم كهنة اورشليم ؟

فاعلموا انه لا الرومانيون قتلوه ، ولا الكهنة . ولكن العالم باسره وقف على تلك التلة ليعطيه حقه من الاحترام .



يوناثان

بين زنابق المياه

كنت مع حبيبتي نجذف في أحد الأيام في بحيرة من الماء العذب . وكانت تلال لبنان تحيط بنا .

وكنا نمرّ بالصفصاف الباكي ، وكنا نتمتع بأظلاله الجميلة المرتسمة حوالينا .

وفيما انا اجذّف سائراً بالقارب في المياه ، أخذت حبيبتي قيثارتها وشرعت تغني هكذا :

أي زهر غير عرائس النيل يعرف المياه والشمس ؟

وأي قلب غير قلبها سيعرف الأرض والسماء ؟

تأمل يا حبيبي هذه الزهرة الذهبية العائمة بين العلو والعمق كما نسبح (أنت وأنا) بين المحبة التي كانت منذ الازل وستظل الى منتهى الدهور .

حرك مجذافك يا حبيبي ، لأضرب على أوتار قيثارتي . لنتبع الصفصاف ولا نهمل زنابق المياه .

في الناصرة شاعر قلبه كقلب عرائس النيل . وقد زار هذا

الشاعر نفس المرأة ، وهو يعرف عطشها المتفجّر من المياه ، ويعرف مجاعتها للشمس في حين ان كل شفاهها شبعانة .

يقولون انه يعيش في الجليل .

أما انا فأقول انه يجذف معنا .

أفلا تقدر أن تنظر وجهه يا حبيبي ؟

أفلا تستطيع أن ترى انه حيث ينحني الصفصاف وتجتمع أظلاله في المياه ، فهنالك يتحرك هذا الشاعر كما تتحرك نحن ؟

جميل أن نعرف شباب الحياة أيها الحبيب .

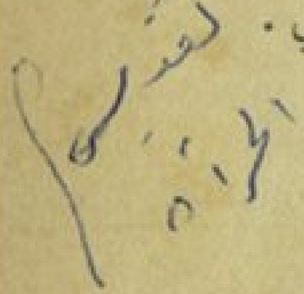
جميل أن نعرف أفراحه المترنمة .

أودّ لو ان مجاذيفك تظل ابداً في يدك ، وأنا تظل لي قيثارتي ذات الأوتار ، حيث تضحك عرائس النيل في الشمس ، ويغتسل الصفصاف في المياه ، ويرافق صوته حركات أوتاري .

حرك مجذافك يا حبيبي ، لأضرب على أوتار قيثارتي .

ففي الناصرة شاعر يعرفنا ويحبنا معاً .

حرك مجذافك يا حبيبي ، لأضرب على أوتار قيثارتي .





حنة من بيت صيدا سنة ٧٣

عمتي في صباها

قد تركتنا عمتي في صباها لتعيش في كوخ قريب من كرم قديم لوالدها .

وكانت تعيش وحدها ، وكان ابناء المزارع المجاورة يأتون اليها في أمراضهم ، وكانت تشفيهم بالأعشاب الخضراء ، وبالجذور والأزهار اليابسة في الشمس .

وكانوا يحسبونها نبية ؛ ولكن فريقاً من الناس دعوها عرّافة ومشعوذة .

وفي أحد الأيام قال لي والدي ، « خذي هذه الأرغفة من خبز الحنطة الى أختي ، وهذه الجرة من الخمر والسلة من الزبيب . »

فوضعت كل هذا على ظهر حمار ، وسرت في طريقي حتى بلغت الكرم ، ووصلت إلى كوخ عمتي . ففرحت برؤيتي جداً .

وفيما نحن جلوس في فيء النهار ، مرَّ بنا رجل على الطريق ، وحيَّا عمتي قائلاً ، « نعمت مساء ولتحلّ عليك بركة الليل . »

فنهضت للحال ووقفت أمامه اجلالاً واحتراماً وقالت ، « ونعمتَ مساء يا سيد جميع الأرواح الصالحة وغالب جميع الارواح الشريرة . »

فنظر اليها الرجل بعينين تذوبان رقةً وسار في طريقه .

أما أنا فضحكت في قلبي . لأني ظننت أن عمتي مجنونة . ولكنني أعرف اليوم أنها لم تكن مجنونة . لأنني أنا هي التي لم تفهم . وقد علمت بضحكي ، مع أنه كان مخفياً في قلبي .

ولذلك قالت لي بغير غضب «اسمعي يا بنيتي ، واصغي وتذكري كلامي ، ان هذا الرجل الذي مرَّ بنا الآن ، كخيال الطير الطائر بين الشمس والأرض ، سيتغلب على القياصرة وامبراطورية القياصرة . وسيبارز الثور المجنَّح في بلاد الكلدان ، والسبع ذا الرأس البشري في مصر ، وسيقهرهما ، وسيحكم العالم بأسره . »

« ولكن هذه الأرض التي يمشي عليها الآن ستصير الى لاشيء واورشليم الجالسة بغطرسة على تلها ، ستطرد مخزية في الدخان امام ريح الخراب . »

وعندما تلفظت بهذه الكلمات تحول ضحكي إلى هدوء وسكون فقلت لها ، « ومن هو هذا الرجل ! ومن أي بلاد واية قبيلة جاء ! وكيف سيغلب الملوك العظماء ، وممالك الملوك العظماء ! »

فاجابت ، « قد ولد في هذه البلاد ، ولكننا رأيناه بأحلام حنيننا منذ بداءة السنين . وهو من جميع القبائل ، ولكنه لا يختص بواحدة منها . وسيغلب بكلمة فمه ولهيب روحه . »

ثم نهضت فجأة ووقفت كالصخرة الراسخة وقالت ، «فليسامحني ملاك الرب على التلفظ بهذه الكلمة أيضاً : وسيُقتل ، ويُدرج شبابه بالأكفان ، ويُضجع بصمتٍ إلى جانب قلب الأرض الصامت ، وستنوح عليه بنات اليهودية . »

ثم رفعت يديها نحو السماء وتكلمت ثانية وقالت ، « ولكنه سيُقتَل بالجسد فقط .

« وسينهض بالروح ويخرج بجيوشه من هذه الأرض التي تولد فيها الشمس ، الى الارض التي تقتل فيها الشمس عند المساء .

« وسيكون اسمه مقدماً بين جميع الأمم . »

كانت عمتي نبية طاعنة في السن عندما قالت هذه الأقوال ، أما أنا فكنت فتاةً صغيرة ، حقلاً لم يُفلح بعد ، وحجراً لم يوضع بعد في حائط .

بيد ان كل ما نظرته في مرآة فكرها قد حدث امام عيني .

فقد نهض يسوع الناصري من الموت ، وقاد رجالاً ونساءً الى بلاد غروب الشمس . والمدينة التي اسلمته للمحاكمة صارت الى الخراب . وفي قاعة المحاكمة ، حيث جرت محاكمته وحكم عليه بالموت ، ينعق البوم بمراثيه ، والليل يذرف ندى قلبه دموعاً على الرخام المتحطم .

وأنا اليوم شيخة إحنت السنون ظهرها . وقد مات أهلي وسارت أمتي الى الفناء .

وقد رأيته مرةً واحدةً بعد ذلك اليوم ، وسمعت صوته ثانيةً . وكان ذلك على رأس تلة عندما كان يخاطب أصدقاءه واتباعه .

وعلى رغم شيخوختي الحاضرة ووحدتي المريرة فهو يزورني في احلامي .

فهو يأتي كملاك ابيض ذي جناحين ، فيخرس بنعمته رُعب ظلمتي . ويرفعني الى عالم رفيع من الأحلام العلوية .

انني ما زلت حقلة غير مفلوحة وثمرة ناضجة لم تسقط عن أمها . وأعظم ما املكه في هذا العالم هو حرارة الشمس وذكرى ذلك الرجل .

وأنا أعرف انه لن يقوم في امتي لا ملك ولا نبي ولا كاهن ، كما انبأت عمتي من قبل .

لأننا سنسير من الوجود مع مجاري الأنهار ولن يُعرَفَ اسمنا .

ولكن الذين عبروا مياهه في وسط مجاريها ستظل ذكراهم في العالم ، لأنهم عبروا مياهه في وسط مجاريها .



منسّى المحامى الأورشليمى

(خطاب يسوع وحركاته)

نعم ، قد سمعته غير مرة متكلماً . فقد كان الكلام حاضراً على شفتيه فى كل وقت .

وقد أعجبت به كرجل وليس كزعيم . لأن مواعظهُ كانت تفوق ذوقي ، أو لعلها كانت تفوق أفكاري ، لأنني لا أحب أن يعظني أحد .

والذي سحرني فيهِ هو صوته واشاراته ، وليس مادة خطابه . نعم قد سحرني ولكنهُ لم يقنعني ، لانهُ كان كثير الابهام ، بعيد الخيال ، وافر التلبّس ، ولذلك لم يصل الى فكري .

قد عرفت كثيرين من أمثاله . ولكنهم لم يكونوا مثابرين على أعمالهم ثابتين في جهادهم نظيره . فقد سحرت فصاحتهم آذان النّاس وأفكارهم الظاهرة ولكنهم لم يبلغوا الى هياكل القلوب .

ومن الأسف أن نرى أعداءه يحيطون بهِ ويبالغون في اضطهاده حتى الموت . لأن موته لم يكن ضروريّاً . فالعداء الذي أظهره له الناس سيضيف الى عزمه عزماً ، وسيحول لطفه الى قوة قاهرة

أفليس بالغريب انك بمقاومتك لأي انسـان تمنحه شجاعة لم تكن له قبل مقاومتك ؟ وانك بتتبعك لخطواته تسلّحه بالأجنحة ؟

انني لا أعرف أعداءه . ولـكنني واثق انهم بخوفهم من رجل لا يعرف الأذيّة قد أعاروه قوة وجعلوا حياته خطراً عليهم جميعاً .



يفتاح من قيصرية

(رجل يكره ذكر يسوع)

ان هذا الرجل الذي يملأ ذكره أيامكم، ويلزم ظله لياليكم هو العلقم في فمي . ومع ذلك فانتم تخدشون اذاني بأقواله ، وتزعجون افكاري بأعماله .

قد سئمت سماع أقواله وكل ما فعل . حتى ان مجرد ذكر اسمه يزعجني، ومثله اسم بلاده . انني لا أريد أن أسمع شيئاً يختص به .

لماذا تصنعون نبياً من رجل لم يكن سوى خيال ؟ لماذا ترون برجاً من تلة الرمل هذه ، وتتصورون بحيرة من نقط المطر المتجمعة في الحفرة الصغيرة الناشئة عن نعل الفرس ؟

انني لا أحتقر الصدى الذي ترجعه كهوف الأودية، ولا الاظلال الطويلة التي يرسمها غروبُ الشمس ، ولكنني لا أريد أن أصغي الى الاخاديع المترددة في رؤوسكم ، ولا أرغب في درس تأثيراتها في عيونكم .

أية كلمة قالها يسوع ولم يقل مثلها هلال ؟ وأية حكمة أعلنها ولم يعلنها غملائيل ؟ وما هي نسبة تمتمته لصوت فيلو ؟ وما هي الصنوج التي ضرب عليها ولم يُضربْ عليها قبل ميلاده ؟

انني أصغي الى الصدى الذي ترجعه الكهوف الى الأودية الصامتة ، وأتأمل في الاظلال الطويلة التي ترسمها شمس الغروب على الارض ، ولكنني لا أطيق أن أرى قلب هذا الرجل يرجع صدى قلب آخر ، ولا أقبل أن أسمع خيال العرافين يسمي نفسه نبياً .

من يقدر على الكلام بعد اشعياء ؟ ومن يجسر على الانشاد بعد داود ؟ وهل تولد الحكمة اليوم بعد أن انضمّ سليمان الى آبائه ؟ وماذا نقول في أنبيائنا الذين كانت السنتهم سيوفاً وشفاههم السنة لهيب ؟ هل تركوا سنبلةً واحدة لهذا اللقّاط في الجليل ؟ أو ثمرة ساقطة لهذا المتسوّل القادم من الشمال ؟ انه لم يجد لنفسه عملاً سوى كسر الخبز الذي خبزه أسلافنا قبله ، وسكب الخمرة التي عصرتها أقدامهم المقدسة من عنب القدماء .

انني أحترم يد الخزاف دون الرجل الذي يشتري الخزف

انني أكرم الجالسين امام النول دون الكسالى الذين يلبسون الأثواب .

فمن كان يسوع الناصري هذا ؟ ومن هو ؟ رجل لم يجرؤ أن يعيش بأفكاره ولذلك صار الى العدم الذي هو نهايته .

فالمرجو من فضلكم ألاّ تخدشوا مسامعي بما قال وما فعل . ان قلبي ممتلىء بوحي الأنبياء القدماء وهذا يكفيني .

———o○o———

يوحنا التلميذ الحبيب في شيخوخته

(يسوع الكلمة)

ترغبون اليَّ أن أتكلم عن يسوع ، ولكن كيف أخدع أنشودة الوجد الالهي في الوجود بهذه القصبة المجوَّفة ؟

في كل مظهر من مظاهر النهار كان يسوع يرى الأب ماثلاً أمامه . فقد رآه في السحب ، وفي أظلال الغيوم المارَّة فوق الأرض . ورأى وجه الأب منعكساً على البرك الهادئة ، وآثار وقع قدميهِ مرتسمة على الرمال ، وكثيراً ما كان يغمض عينيهِ ليتأمل في العينين المقدستين .

وكان الليل يخاطبه بصوت الأب ، وفي الوحدة كان يسمع ملائكة الرب تناديه . وعندما كان يطلب الراحة في النوم كان يسمع همس السماوات في أحلامه .

وكان في الغالب سعيداً في صحبتنا ، وكان يدعونا اخوةً .

فتأملوا كيف ان الكلمة الأولى عند الأب يدعونا اخوةً ، وما نحن الا مقاطع حقيرة لم يُتَلَفَّظْ بها الاَّ في الامس القريب .

ولعلكم تسألون ، لماذا سميته « الكلمة الأولى » ؟

فاصغوا لأجيبكم :

في البدء تحرك الله في الفضاء ، ومن حركته التي لا قياس لها ولدت الأرض وفصولها .

ثم تحرك الله ثانية ، فانبعثت الحياة ، فصار حنين الحياة ينشد العلوّ والعمق ، ليكون له الاكثر فالاكثر من ذاته .

ثم تكلم الله ، فكان الانسان من كلماته ، وكان الانسان روحاً مولودة من روح الله .

وعندما تكلم الله هكذا ، كان المسيح كلمته الأولى ، وكانت تلك الكلمة كاملة ، وعندما جاء يسوع الناصري الى العالم ، سمع العالمُ بهِ الكلمة الأولى الخارجة من فم الله ، وصار صوت تلك الكلمة لحماً ودماً .

ان يسوع الممسوح هو الكلمة الاولى التي خاطب بها الله العالم ، كما لو ان شجرة من التفاح في بستان تزهر وتعقد قبل بقية الأزهار بيوم واحد . وكان في بستان الله في ذلك اليوم عصر كامل .

نحن جميعنا أبناء العلي وبناته ، ولكن الممسوح كان ابنه البكر ، الذي قطن في جسد يسوع الناصري ، وسار بيننا ورأيناه بعيوننا .

كل هذا أقوله لكم لكي تفهموا ليس فقط بالفكر بل بالروح . ان الفكر يزن ويقيس ، ولكن الروح تصلُ الى قلب الحياة وتعانق أسرارها ، وبزرة الروح لا تموت .

ان الريح قد تهب ثم ينقطع هبوبها ، والبحر يتمدد ثم يتقلص ، ولكن قلب الحياة دائرة هادئة ساكنة والكواكب التي تنيرها ثابتة الى الأبد .

———o⊂⊃o———

مانوس من پومپي الى يوناني

(في آلهة الساميين)

ان اليهود ، كجيرانهم الفينيقيين والعرب ، لا يأذنون لآلهتهم أن تستريح هنيهة على متون الرياح .

فهم كثيرو الاهتمام بآلهتهم ، وكثيرو الملاحظة بعضهم على بعض في شأن الصلاة والعبادة والتضحية .

فبما نكون نحن الرومانيين نبني هيا كل الرخام البديعة لآلهتنا ، ترى هؤلاء الشعوب يتجادلون في طبيعة الههم . نحن في ساعات وجدنا بآلهتنا نغني ونرقص حول مذابح المشتري ويونون والمريخ والزهرة ، أما هم ففي ساعة وجدهم يلبسون المسوح و يغطون رؤوسهم بالرماد – وكثيرون منهم يبكون و يندبون اليوم الذي ولدوا فيه .

أما يسوع ، الرجل الذي أعلن الله للناس كائناً يعشق المسرة والفرح ، فقد عذّبوه وقتلوه .

ان هؤلاء الناس لا يريدون أن يسعدوا مع إلاه سعيد . فهم لا يعرفون غير آلهة آلامهم .

وأغرب من كل هذا أن أصدقاء يسوع وتلاميذه الذين عرفوا فرحه وسمعوا ضحكه ، يضعون صورة لكآبته و يعبدون تلك الصورة .

وفي مثل هذه الصورة لا يرتفعون الى الاهم ، بل ينزلون الاهم الى مستوى أنفسهم .

وعلى كلٍ فأنا أعتقد ان هذا الفيلسوف، يسوع ، الذي لم يكن مختلفاً عن سقراط، ستكون له السلطة على أمته ، وربما على غيرها من الامم .

لأننا جميعنا مخلوقات كئيبة ولها شكوكها التافهة . فاذا قال لنا رجل ، « فلنفرح مع الآلهة » فنحن لا نتردد عن الخضوع لصوته . عجيبٌ كيف ان كآبة هذا الرجل قد تحولت الى طقس .

ان هؤلاء الناس يريدون أن يهتدوا الى أدونيس آخر ، الاله يقتل في الغابة ، ليحتفلوا بقتله ، ويا للأسف كيف يعرضون عن ضحكه .

ولكن لنعترف ، كروماني الى يوناني . أفهل نصغي نحن أنفسنا الى ضحك سقراط في شوارع أثينا ؟ وهل يقدر أحدٌ منا أن ينسى كأس الشوكران حتى ولو كنا في مرسح ديونيسيوس ؟

أفلا يقف أباؤنا حتى اليوم على زوايا الشوارع ليتحادثوا عن همومهم ويتمتعوا بلحظة من السعادة بذكرى النهاية الكئيبة التي سار اليها جميع رجالنا العظماء ؟



سقراط

ـ﴿ بيلاطس البنطى ﴾ـ

(فى الطقوس والخرافات الشرقية)

قد حدثتني امرأتي عنه غير مرة قبل ان أحضروه إليَّ ، ولكنني لم أهتم للأمر .

ان امرأتي كثيرة الأحلام ، وهى كالكثيرات من النساء الرومانيات في طبقتها ، قد استسلمت للطقوس والخرافات الشرقية .

ولكن هـذه الطقوس كثيرة الخطر على الامبراطورية ، وكلما وجدت مثل هـذه الخرافات سبيلاً الى قلوب نسائنا تضاعفت الاخطار الناتجة عنها والتي قد تؤدي الى خرابنا .

ان مصر قد صارت الى الزوال عندما حمل لها مهاجروا العرب الاله الواحـد في صحرائهم . واليونان انقلبت وسقطت الى الحضيض عندما جاءت اليها عشتاروت ووصيفاتها السبع من شواطىء سورية .

أما يسوع هذا فانني لم أره قبل أن أُسلم إليَّ كفاعل إثم ، وعدوّ لامته ولرومية .

فقد أحضروه الى دار المحاكمة ، رابطـين يديه الى جسده بحبل غليظ .

كنت جالساً في سرادقي ، فمشى إليّ بخطوات طويلة ثابتة ، ثم وقف منتصباً وظل رأسه مرتفعاً .

انني لا أستطيع أن أتصور ما الذي نزل عليّ في تلك اللحظة ، ولكنني شعرت فجأة برغبة خفية (مع أنه لم يكن لها أثر في ارادتي) كانت تدفعني الى النهوض من سرادقي والسجود أمامه .

نعم قد شعرت كما لو أن القيصر نفسه دخل داري ، لأن الواقف أمامي كان أعظم من رومية نفسها .

ولكن هـذا الشعور لم يقم في قلبي غير لحظة واحدة . وللحال رأيت أمامي رجلاً بسيطاً تتهمه أمتـه بالخيانة . وكنت أنا حاكماً وقاضياً عليه .

فسألته عن أمره فلم يجب . ولكنه نظر اليّ . وكان في نظرته كثير من الشفقة ، كأنما هو الحاكم والقاضي عليّ .

ثم تصاعد من الخارج صراخ الشعب . أما هو فظل صامتاً ينظر إليّ والشفقة ملء عينيه .

فخرجت ووقفت على درجات القصر ، وعنـدما رآني الشعب انقطع عن الصراخ . فقلت لهم ، « ماذا تريدون من هذا الرجل ؟ »

فصرخوا بصـوت واحد ، « نريد أن نصلبه لأنه عدونا ، وعدوّ رومية . »

وكان قوم منهم يقولون ، « ألم يقل أنه ينقض الهيكل . ؟ بل ألم يدعي المملكة لنفسه ؟ اننا لا نريد ملكاً غير قيصر . »

فتركتهم ورجعت الى دار المحاكمة أيضاً ، فرأيته لا يزال واقفاً هناك وحده ، وما برح رأسه مرتفعاً .

فتذكرت للحال ما كنت قد سبقت فقرأته لأحد فلاسفة الاغريق ، « ان الرجل المعتزل هو أقوى الرجال . » في تلك الدقيقة كان الناصري أعظم من كل أمته .

ولم أشعر برأفة عليه . لأنه كان فوق رأفتي .

فسألته ، « هل أنت ملك اليهود ؟ »

ولكنه لم يقل كلمة .

فسألته ثانية ، « ألم تقل انك ملك اليهود ؟ »

فنظر اليَّ .

ثم أجابني بصوت هادىء ، « أنت نفسك أعلنتني ملكاً . ولعلني لهذا ولدت ، ولهذا أتيت لأشهد للحق . »

تأملوا رجلاً يتكلم عن الحق في مثل هذا الموقف .

ولكنني تجلدت وقلت بصوت مرتفع لنفسي وله ، « وما هو الحق ؟ وماذا ينتفع البريء من الحق ويد منفذ حكم القتل على عنقه . ؟ »

حينئذٍ قال يسوع بقوة ، « ما من رجل يستطيع أن يحكم العالم الا بالروح والحق . »

فسألته قائلا ، « وهل أنت من الروح ؟ »

فأجاب ، « وأنت أيضاً من الروح وان كنت لا تدري . »

وما هي الروح وما هو الحق ، في الوقت الذي كنت أنا ، من أجل سلامة البلاد ، وأمته بغيرتها على طقوسها القديمة ، نسلم رجلاً بريئاً للموت ؟

ما من رجـل ولا امة ولا مملكة تريد أن تتعرج أمام الحق السائر في طريقه الى كمال ذاته .

فقلت له ثانية ، « هل أنت ملك اليهود ؟ »

فأجاب ، « أنت نفسك قلت هـذا . انني قد غلبت العالم قبل هذه الساعة . »

وهذه هي العبارة الواحدة التي لم تكن في موضعها من جميع ما قاله ، لأن رومية وحدها غلبت العالم .

ولكن أصوات الشعب تصاعدت ثانية ، وكان صراخهم يشق عنان الفضاء .

فنزلت عن عرشي وقلت له ، « اتبعني . »

فخرجت ووقفت ثانية على درجات القصر ووقف هو الى جانبي .

وعندما رآه الشعب تعالى صراخهم كالرعد القاصف. ولم أسمع من زعاقهم غير هذه الكلمات : « اصلبه ، اصلبه ، »

فأسلمته الى الكهنة الذين اسلموه اليَّ وقلت لهم ، « افعلوا ما شئتم بهذا الصديق . واذا شئتم اصطحبوا جنوداً رومانيين لحراسته . »

فأخذوه في الحال ، وأمرت أن يكتب على الصليب فوق رأسه، « يسوع الناصري ملك اليهود . » وكان الاجدر بي أن أقول ، « يسوع الناصري الملك . »

فعرّوا الرجل وجلدوه وصلبوه .

قد كان في طوق أن اخلصه ، ولكن خلاصه كان قد أثار نيران الثورة في البلاد ، والحكمة تقضى أبداً على الحاكم في ولاية رومانية أن يحتمل بالصبر جميع الوساوس الدينية في الامة المغلوبة .

وأنا اعتقد حتى الساعة أن الرجل كان اعظم من ثائر مقلق . وما أمرت به لم يكن بأرادتي ، بل انما فعلته من أجل مصلحة رومية .

وبعد ذلك بقليل من الزمن تركنا سوريه ، ومن تلك الساعة صارت امرأتي كثيرة الكآبة . وكثيراً ما أرى في هذا البستان الجميل نفسه مأساة كئيبة مرتسمة على وجهها .

———o○o———

وقد أخبروني انها تتكلم كثيراً عن يسوع لنساء رومية .

فتأملوا كيف أن الرجل الذي امرت بموته يرجع من عالم الاشباح ويدخل الى بيتي .

وأنا مازلت اسأل في اعماق نفسي ايضاً وأيضاً ، ما هو الحق ، وما هو غير الحق ؟

فهل يمكن أن السوريّ يتغلب علينا في هدوء ساعات الليل ؟

ان هذا بالحقيقه لايمكن أن يكون .

لأن رومية يجب أن تتغلب على أضغاث احلام نسائنا .



برثولماوس في أفسس

في العبيد والمنبوذين

يقول أعداء يسوع انه وجّه دعوته للعبيد والمنبوذين ، وانه كان يثيرهم على أسيادهم . ويقولون انه وهو ابن الطبقة الحقيرة كان يستغيث بأبناء طبقته ، بيد انه كان يسعى ليخفي حقيقة أصله .

ولكن فلنبحث في أتباع يسوع وفي زعامته .

ففي أول أمره اختار رفقاء له في عمله بضعة رجال من البلاد الشمالية ، وكانوا أحراراً . وكانت أجسادهم قوية وأرواحهم جريئة ، وفي العشرين سنة الماضية قد أدهشوا العالم بشجاعتهم في مجابهة الموت بإرادتهم وعدم مبالاتهم .

فهل تعتقدون ان هؤلاء الرجال كانوا عبيداً أو منبوذين ؟

وهل يخطر لكم ان امراءَ لبنان وارمينيا المفاخرين بحسبهم ونسبهم قد نسوا مقامهم عندما قبلوا يسوع كالنبيِّ الله ؟

أم هل تفكرون ان أشراف الرجال والنساء في انطاكية وبيزنطية واثينا ورومية يمكن أن يستهويهم صوت زعيم من العبيد ؟

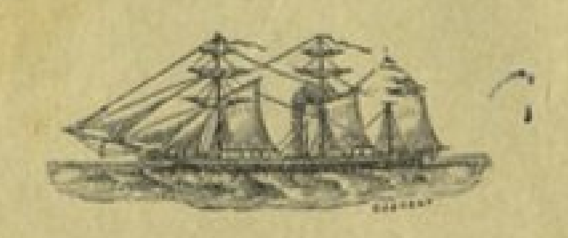
الا ان الناصري لم يكن قط مع عبدٍ ضد سيده ؛ ولا مع سيدٍ ضد عبده . انه لم يكن مع رجلٍ ضد رجل آخر .

فقد كان رجلاً اسمى من الناس ، والجداول التي جرت في مجاري قوته كانت تترنم مع الألم ومع القوة في وقت واحد .

فاذا كانت النبالة في الحماية ، فان الناصري هو أنبل نبلاء العالم . واذا كانت الحرية في الفكر والقول والعمل ، فهو أمير الأحرار في كل الأجيال . واذا كان شرف الأصل في الآباء الذين لا يستسلم لا للمحبة وفي الوحدة اللطيفة الرؤوفة ابداً ، فهو اذن من جميع الناس أشرفهم أصلاً .

ولا تنسوا انه لا يفوز بالاكاليل في السباق الا القوي والسريع ، وان يسوع قد توَّجَهُ أصدقاؤه ومحبوه كما توَّجَهُ أعداؤه على غير علم منهم .

وهو حتى الساعة يقتبل أكاليل النصر من كاهنة ارتاميس في المواضع السرية من هيكلها .



متّى

يسوع أمام جدار سجن

في أحد الامساء مرّ يسوع بسجن في برج دواود . وكنا نمشي وراءه .

غير انه وقف فجأة ووضع وجنته على حجارة جدار السجن .

وشرع يقول :

« يا اخوة يومي القديم ، ان قلبي يخفق مع قلوبكم وراء الجدران . أود لو انكم تقدرون أن تتحرروا في حريتي وتمشوا معي ومع رفقائي . »

« أنتم سجناء ، بيد انكم لستم وحدكم . فما أكثر السجناء الذين يمشون في الشوارع المفتوحة . ومع ان أجنحتهم غير متكسرة فهم كالطاووس يرفرفون ولكنهم لا يطيرون . »

« يا اخوة يومي الثاني ، قريباً أزوركم في سجونكم وأقدم كتفي لاحمالكم . لأن البريء والمجرم لا ينفصلان أحدهما عن الآخر ، وكعظمَيْ الساعد لن ينفصلا . »

« يا اخوة هذا اليوم ، الذي هو يومي ، قد سبحتم ضد مجرى أفكارهم فقبضوا عليكم . وهم يقولون انني أنا ايضاً اسبح ضد هذا

المجرى . ومن يدري فقد أسير اليكم قريباً ، فأكون معكم كاسر الشريعة مع كاسري الشريعة . »

« يا اخوة يوم لم يأت بعد ، ان هذه الجدران ستسقط ، ومن هذه الحجارة ستُصنع أشكال جديدة بيد ذاك الذي مطرقتهُ النور ، وأزميله الريح ، وستقفون أحراراً في حرية يومي الجديد . »

هكذا تكلم يسوع وسارَ في طريقه ، وظلت يده على جدار السجن حتى ترك برج داود .



اندراوس

في المدنسين

ان مرارة الموت هي بالحقيقة أقل مرارة من الحياة بدونه . فقد صمتت الأيام وسكنت عندما أُخرسَ صوته . لم يبق سوى الصدى يرجع كلماته الى ذاكرتي ولكنه لا يرجع صوته .

سمعته مرةً يقول : « اذهبوا في ابّان حنينكم الى الحقول ، واجلسوا الى جانب الزنابق ، فتسمعونها تترنم في الشمس . فهي لا تحوك ثياباً لملابسكم ، ولا تصنع أخشاباً أو حجارة لمنازلكم ، ولكنها تغني مترنمة .

« ان الذي يشتغل في الليل يكمل حاجاتها وندى نعمته يبلل أوراقها .

« وأنتم أيضاً أفلا يُعنَى بكم ذلك الذي لا يتعب ولا يستريح ؟ »

وفي مرة أخرى سمعته يقول ، « ان طيور السماء راضية يحصيها أبوكم كما أن شعور رؤوسكم جميعها محصاة . فلا يسقط طير عند قدمي الصياد ، ولا تبيضّ شعرة من رؤوسكم ولا تسقط في وهدة الشيخوخة بدون أرادته . »

وقال أيضاً ، « قد سمعت تذمركم في قلوبكم قائلين : يجب أن

يكون الهنا اكثر رحمةً معنا نحن أولاد ابراهيم من أولئك الذين لم يعرفوه منذ البدء.

« أما أنا فأقول لكم ، ان رب الكرم الذي يدعو فاعلاً عند الصباح ليشتغل في كرمه ، ويدعو فاعلاً اخر عند الغروب ،ثم يعطي الأجرة للأخير كما للأول ، ان مثل هذا الرجل مبرّر بالحقيقة في عمله . أفلا يدفع من كيسه بكمال ارادته ؟

«هكذا سيفتح أبي بوابة قصره لمن يقرع عليها من الأمم ، كما يفتحها لمن يقرع عليها منكم. لأن أذنه تصغي الى النغم الجديد بنفس المحبة التي تشعر بها عند سماع الاغنية التي طالما سمعها . وهو يرحب بالنغم الجديد ترحيباً خاصاً لأنه أصغر وتر في قيثارة قلبه . »

وفي مرة أخرى سمعته يقول ، « تذكروا هذا : ان اللص هو رجل محتاج ، والكذاب هو رجل خائف ، والصيّاد الذي يصطاده حارس ليلكم قد اصطاده أيضاً حارس ظلمة نفسه .

« أريد أن تشفقوا على جميع هؤلاء.

« فاذا قصدوا منازلكم ، فافتحوا لهم الأبواب واجلسوهم الى موائدكم ، واذا لم تقبلوهم فانكم لن تكونوا احراراً من أي عمل يعملونه.»

وفي أحد الأيام تبعته الى ساحة المدينة في أورشليم كما تبعه كثيرون غيري . فقص علينا مثل الابن الشاطر ، ومثل التاجر الذي باع كل ما كان له ليشتري درّة .

وفيما كان يخاطبنا احضر الفريسيون الى وسط الجمع امرأة كانوا يسمونها زانية . فأحاطوا بيسوع وقالوا له ، « قد دنست نذر زواجها وأُمسكت بالفعل الشنيع . »

فنظر اليها ووضع يده على جبينها وتأمل مليًا في عينيها .

ثم التفت بالرجال الذين احضروها اليـه ، وامعن نظره في وجوههم ، وانحنى وشرع يكتب بأصبعه على الأرض .

فكتب اسم كل رجل ، وكتب الى جانب كل اسم الخطيئة التي ارتكبها صاحب الاسم .

وفيما كان مكبًا على الكتابة هربوا من حضرته يجرون اذيال عارهم . وقبل أن فرغ من كتابته لم يبق أمامه أحد الا نحن والمرأة .

فنظر الى عينيها ثانية وقال لها ، « أنك قد أحببتِ كثيراً . أما الذين أحضروك الى هنا فانهم أحبوا قليلاً . ولكنهم حملوك الي كاحبولة لاحتبالي .

« فانصرفي الآن بسلام .

« لم يبق منهم أحد ليدينك . فاذا رغبت في أن تكوني حكيمة كما انت محبةٌ ، فاطلبيني ، فان ابن الانسان لا يدينك . »

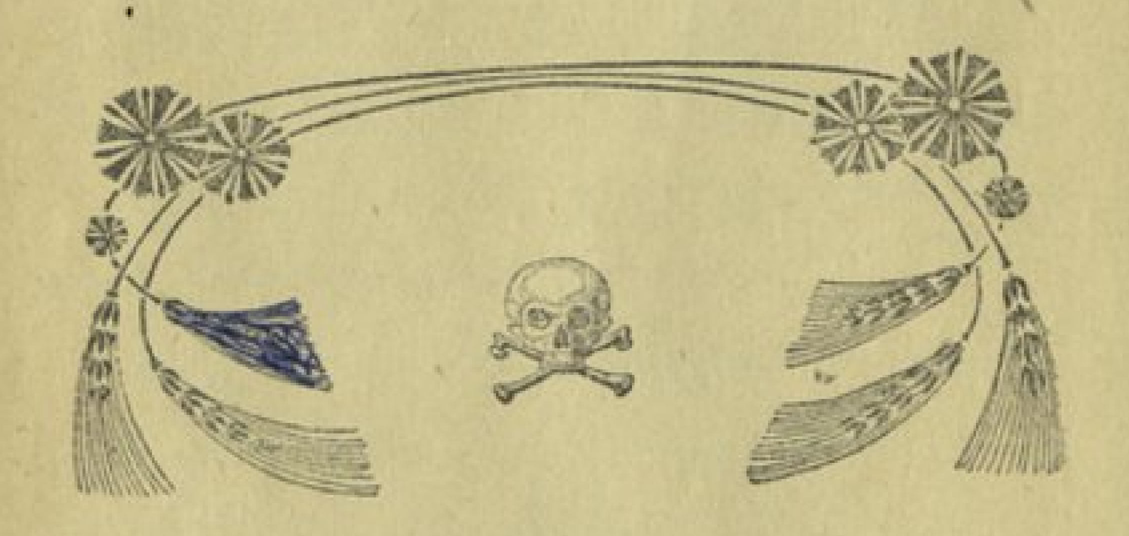
وقد عجبت آنئذ فيما اذا كان قال هذا لها لأنه هو نفسه لم يكن بلا خطيئة .

ولكنني منذ ذلك اليوم وأنا أتأمل وأدرس ، وها أنا أعرف

الآن أن نقيّ القلب وحده يغفر للانسان عطشه الذي يقوده الى مياه آسنة .

والثابت الخطى وحده يستطيع أن يمد يده لمن يعثر في طريقه .

وأيضاً وأيضاً أقول ، ان مرارة الموت هي بالحقيقة أقل مرارة من الحياة بدونه .



رجل غنى

في المقتنيات

كان يسوع يتكلم بالسوء على الأغنياء . وقد سألته في أحد الأيام قائلاً ، « يا سيدي ، ماذا أفعل لاحصل على سلامة الروح؟»

فأمرني أن اعطي أموالي للفقراء واتبعه .

فهو لم يملك شيئاً ، ولذلك لم يعرف ما في المقتنيات من التأمين على الحياة والحرية الشخصية ، والاحترام الداخلي والخارجي .

في بيتي ماية وأربعون عبداً وخادماً ، فالبعض يشتغلون في غاباتي والبعض يسوقون مراكبي الى الجزائر البعيدة .

فلو انني سمعت منه وأعطيت أملاكي للفقراء فماذا كان يحلُّ بعبيدي وخدامي وأزواجهم وأولادهم ؟ فانهم ولا شك كانوا يصيرون متسولين نظيره على بوابة المدينة وفي رواق الهيكل .

نعم ان ذلك الرجل الصالح لم يسبر غور السر المحيط بالمقتنيات . ولما كان هو وأتباعه يعيشون على عطايا الاخرين فقدْ ظن أن جميع الناس يجب أن يعيشوا مثله .

واليكم هذا اللغز الذين يناقض ذاته : هل يجدر بالأغنياء أن

يعطوا ثروتهم للفقراء الذين يجب أن يكون لهم كأس الغني ورغيفه قبل أن يرحبوا به على مائدتهم ؟

وهل يجدر بصاحب البرج أن يصير مضيفاً لزبائنه قبل أن يدعوا نفسه سيد أرضه ؟

ألا ان النملة التي تخزن طعاماً للشتاء هي أحكم من الجنادب التي تترنم يوماً بأناشيدها وتتألم يوماً من مجاعتها .

فى السبت الماضي قال أحد اتباعه فى ساحة المدينة ، « على عتبة السماء حيث يضع يسوع حذاءه لا يستحق رجل غيره أن يضع رأسه . »

ولكننى أسأل هذا ، على عتبة أى بيت استطاع ذلك الهائم البسيط القلب أن يترك حذاءه ؟ فانه لم يكن له لا بيت ولا عتبة ، وفى اكثر الاحيان كان يمشي بغير حذاء .



يوحنا في بطمس

يسوع الرؤوف

انني أود أن اتكلم عنه مرة ثانية .

ومع ان الله قد حبس عني الكلام فقد أعطاني الصوت والشفتين المحترقتين .

وعلى رغم عدم استحقاقي للكلمة الكاملة ، فأنا أدعو قلبي الى شفتي .

قد أحبني يسوع ولم أعلم لماذا احبني .

أما أنا فقد أحببته لأنه رفع روحي الى أعال فوق قامتي ، وانزلها الى أعماق لا قبلَ لي على سبر غورها .

المحبة سر مقدس

والمحبون الحقيقيون لن يجدوا الفاظاً للتعبير عن محبتهم ،

أما الذين لا يحبون فالمحبة في عقيدتهم سخرية قاسية .

قد دعاني يسوع كما دعا أخي ونحن نشتغل في الحقل .

وكنت آنئذٍ شاباً ولم تعرف اذني غير صوت الفجر .

ولكن صوته وضع حداً نهائياً لعملي و بداءة لعهد وجدي وافتتاني .

فلم يبق أمامي بعد ذلك الا المشي في الشمس وعبادة جمال الساعة .

هل تستطيع أن تتصور جلالاً يحول لطفه دون ظهوره ؟ أو جمالاً يحول نوره دون رؤيته ؟

هل تقدر أن تسمع في أحلامك صوتاً يستحي بمحبته ؟

فقد دعاني وأنا تبعته .

وفي ذلك المساء رجعت الى بيت أبي لأحمل ثوبي الآخر .

وهنالك قلت لأمي ، « ان يسوع الناصري يرغب في أن يضمني الى جماعته . »

فقالت ، « سر في طريقه يا بنيّ كما سار أخوك . »

فسرت في طريقه .

قد دعاني عبيره وأمرني ؛ ولكن ليحررني فقط .

لأن المحبة مضيفة جوّادة لضيوفها ، ولكن بيتها سراب وهزء لغير المدعوّين .

* * * * *

ترغبون الي الان أن اوضح لكم عجائب يسوع .

فنحن جميعنا أشارة عجائبية للزمان ، وربنا ومعلمنا هو المركز الرئيسيّ لذلك الزمان

ولكنه لم يشأ أن يعرف أحد بأشارته .

فقد سمعته يقول للمفلوج ، « انهض واذهب الى بيتك ،ولكن احذر أن تقول للكاهن انني جعلتك صحيحاً . »

ولم يكن فكر يسوع مع المقعدين ، بل كان بالاحرى مع الأقوياء والمنتصبين .

فقد طلب فكره غيره من الأفكار وامسك بها،وزارت روحه الكاملة غيرها من الأرواح .

وبهذا العمل غيرت روحه تلك الأفكار وتلك الارواح .

وقد بدا هذا العمل أعجوبة خارقة للناس ، ولكنه كان في نظر ربنا ومعلمنا بسيطاً كتنفس الهواء في كل يوم .

* * * * *

والآن فلأتكلم عن أمور أخرى .

كنت أمشي معه في احد الايام في حقل ، وكنا وحيدين جائعين فأتينا الى شجرة من التفاح البرّي .

ولم يكن على اغصان التفاحة سوى تفاحتين فقط .

فمسك يسوع جذع الشجرة بيديه وهزها فسقطت التفاحتان .

فالتقطهما معاً وأعطاني واحدة منهما.وامسك التفاحة الاخرى بيده.

واذ كنت جائعاً جداً أكلت تفاحتي بسرعة شديدة .

ثم نظرت اليه فوجدت التفاحة ما برحت في يده .

فأعطاني أياها وقال لي : « كل هذه أيضاً . »

فأخذت التفاحة وفي قلة حياء مجاعتي أ كلتها .

وفيما نحن نمشي نظرت الى وجهه .

ولكن كيف أستطيع أن أخبركم بما رأيت ؟

رأيت ليلاً تحترق الشموع في فضائه ، وحلماً لا تصل اليه أحلامنا ، ظهيرة يفرح فيها جميع الرعاة ويطربون لرؤية قطعانهم راعية أمامهم ، مساء هادئاً وسكوناً عجيباً وبيتاً تلجأ الروح اليه ،ونوماً هادئاً وحلماً لذيذاً .

كل هذا رأيته في وجهه .

فقد أعطاني التفاحتين . وعرفت انه كان جائعاً مثلي .

ولكنني أعرف اليوم انه بأعطائهما لي قد شبع واكتفى . لأنه هو نفسه أكل من أثمار أخرى لشجرة أخرى .

أود أن أخبركم اكثر من هذا عنه ولكن كيف أستطيع ذلك؟

فان المحبة متى اتسعت صعب التعبير عنها بالكلام . والذاكرة اذا كثرت أحمالها سارت تفتش عن الاعماق الصامتة .



بطرس

في الجار

قال ربي ومعلمي مرة في كفر ناحوم :

« ان جاركم هو ذاتكم الثانية تقطن وراء الجدار . وبالفهم تسقط جميع الجدران .

« ومن يدري اذا لم يكن جاركم هو ذاتكم الفُضلى لابسةً جسداً آخر ؟ فانتبهوا أن تحبوه كما تحبون ذواتكم .

« وهو أيضاً مظهر للعلي القدير ، الذي لا تعرفونه .

« ان جاركم هو حقل يسير فيه ربيع آمالكم بأثوابه الخضراء ، ويحلم فيه شتاؤكم بالأعالي المجللة بالثلج .

« ان جاركم هو مرآة ترون فيها صورتكم وقد جمَّلها فرحٌ أنتم أنفسكم لم تعلموا به ، وكآبة أنتم أنفسكم لم تشتركوا بها .

« فأحبوا جاركم كما أحببتكم أنا . »

فسألته قائلاً ، « وكيف أستطيع أن أحب جاراً لا يحبني ، وهو يحسدني ويطمع في مالي ؟ بل كثيراً ما يسرق مقتنياتي ؟ »

فأجاب وقال ، « اذا كنت تفلح وكان خادمك يزرع البذار وراءك ، أفهل تقف وتنظر الى الوراء لتطرد زرزوراً يلتقط بضع

حبات من بذارك ليغذي بها جوعه ؛ فاذا فعلت هذا فأنت لا تستحق ثروة حصادك . »

وعندما قال هذا خجلت من نفسي وجلست صامتاً . بيد أنني لم أكن خائفاً لأن ابتسامة يسوع لم تفارقه .



اسكاف في اورشليم

« على الجبار »

انني لم أحبه ، ولكنني في الوقت نفسه لم أبغضه .

ولم أصغ اليه لأسمع أقواله ، بل بالأحرى لأسمع رنة صوته ؛ لأن صوته كان يطربني .

وكل ما قاله كان مبهماً في فكري ، ولكن موسيقى صوته كانت صريحة في اذني .

بالحقيقة انني لولا ما سمعته من الناس عن تعاليمه ، لما كنت قادراً أن أميز ما اذا كان يسوع مع اليهودية أو ضدها .

سوسان الناصرية جارة مريم

في شباب يسوع ورجولته

قد عرفت مريم أم يسوع ، قبل أن صارت امرأة ليوسف النجار ، وكنا معاً في ذلك الوقت غير متزوجتين .

في تلك الأيام كانت مريم ترى رؤًى وتسمع أصواتاً ، وتتكلم عن الخدام السماويين الذين يزورونها في أحلامها .

وكان أهل الناصرة شديدي الاهتمام بها ، وكانوا يلاحظونها في ذهابها وإيابها . وكانوا ينظرون اليها بعيون لطيفة ، لأن جبهتها كانت رفيعة وخطواتها كانت سديدة .

ولكن البعض قالوا انها مجنونة . وقد قالوا هذا لأنها كانت تتصرّف بحرية تامة في جميع أعمالها .

أما أنا فقد كنت أنظر اليها نظرتي الى شيخة طاعنة في السن مع انها كانت فتاة في ميعة الشباب ، لأنني رأيت حصاداً في إزهارها واثماراً يانعة في ربيعها .

فقد وُلدتُ ونشأت بيننا غير أنها كانت في قريتنا كأنها غريبة من بلاد الشمال . وكانت في عينيها دائماً دهشة الغريب الذي لم يتعرف الى وجوهنا بعد .

وكانت لها نفس العجرفة التي عُرفتْ بها ميريامُ القديمة التي خرجت مع شقيقيها من النيل الى البرية .

ثم خُطبَتْ مريم ليوسف النجار .

٭٭٭

وعندما حبلت مريم بيسوع كانت تمشي بين التلال وترجع عند المساء وفي عينيها جمال فتّان وألم عميق .

وعندما وُلد يسوع أخبرتني احدى الصديقات أن مريم قالت لأمها ، « أنا لست الا شجرة لم تقلّم أغصانها بعد . فانظري أنت في هذه الثمرة . » وقد سمعت هذا القول مرثا القابلة .

وبعد ثلاثة أيام ذهبتُ لزيارتها . فاذا هي منذهلة العينين ، مرتجفة الصدر ، وقد طوقت بكرها بذراعيها كما تطوق الصدفة درّتها الثمينة .

جميعنا أحببنا ابن مريم وكنا نراقبه بعيون المحبة ، لأنه كان ممتلئاً بقوة الحياة والنماء .

مرّت الفصول وتقضت الأقمار فصار الطفل صبياً كثير الضحك واللهو . ولم يعرف أحد منا ماذا سيصير اليه هذا الصبي لأنه كان يبدو للجميع كأنه من غير جنسنا . ولم يجسر أحد على توبيخه قط مع انه كان كثير المغامرة وافر الشجاعة .

أقول انه كان يلعب مع الأولاد أترابه ، ولكنني لا أقدر أن أقول انهم كانوا يلعبون معه .

وعند ما كان في الثانيــة عشرة من العمر قاد أحد العميان الى عبر الجدول حتى أوصله الى الطريق العامة .

أما الأعمى ، فلكي يظهر له شكره سأله قائلاً ، « من أنت أيها الصبي الصغير ؟ »

فأجابه ، « أنا لست صبياً صغيراً . أنا يسوع . »

فقال له الأعمى ، « ومن هو أبوك ؟ »

فأجاب ، « الرب هو أبي . »

فضحك الأعمى وقال ، « بالصواب أجبت يا بُنَيّ . ولكن من هي أمك ؟ »

فأجاب يسوع ، « أنا لست بُنَياً لك . وامي هي الأرض . »

فقال الاعمى ، « فانظر اذن ، فقد قادني ابن الله والارض الى عبر الجدول . »

فأجاب يسوع ، « سأقودك حيث شئت ، وسترافق عينــاي قدميك . »

وكان ينمو كالنخلة الثمينة في بساتيننا .

وعندما بلغ التاسعة عشرة صار جميلاً كالايّل ، وكانت عيناه كالعسل ممتلئتين من دهشة النهار .

وكان على فمه عطش قطيع الصحراء للبحيرة ..

فهو لا يمشي في الحقول الا وحده وعيوننا وراءه ، ومثلها عيون جميع الصبايا في الناصرة . ولكننا كنا نخجل امام جلال عينيه .

ومع ان المحبة خجولة أبداً من الجمال ، فالجمال كان وما يزال مطمح أنظار المحبة .

ثم دعته الفصول ليتكلم في بساتين الجليل .

وكثيراً ما كانت مريم تتبعه لتصغي لأقواله وتسمع صوت قلبها. ولكن عندما كان يذهب مع محبيه الى اورشليم لم تكن تذهب معهم لأننا نحن أبناء الشمال يُهزأ بنا في الغالب في شوارع أورشليم ، حتى ولو كنا ذاهبين لنقدم تقدماتنا في الهيكل .

وكانت مريم فخورة بهذا المقدار حتى انها لم تشأ أن تسلّم أباءها لسخرية أهل الجنوب .

* * *

وقد زار يسوع بلاداً أخرى في الشرق وفي الغرب . ومع اننا لم نعرف البلاد التي زارها ولكن قلوبنا كانت تتبعه .

ولكن مريم كانت تجلس على عتبتها تنتظره ، وفي كل مساء كانت تحدق بعينيها في الطريق تفتش عن رجوعه الى بيته .

بيد انها عند رجوعه تأتي الينا قائلة ، « انه أعظم من أن يكون ابنالي،وفصاحته تسموعلى ادراك قلبي الصامت. فكيف ادّعيه لنفسي؟»

ويلوح لي أن مريم لم تستطع أن تصدق بأن السهل قد ولد الجبل ، وفي بياض قلبها لم تنظر أن حرف الجبل هو الطريق الى قنته

فقد عرفت الرجل ، ولكن بما أنه كان ابنا لها لم تجرؤ ان تعرفه.

وفي أحد الأيام ذهب يسوع الى البحيرة ليكون مع أصدقائه الصيادين، فقالت لي مريم ، « من هو الانسان الا هذا الكائن القلق الناهض من الأرض ، والحنين المتسامى الى النجوم ؟

« ان ابني هو حنين بعيد . بل هو جميعنا متسامين بحنيننا الى النجوم .

« هل قلت أنه ابني ؟ فليسامحني الرب . ولكن قلبي يدلني على انني أمه » .

* * *

انه صعب عليّ جداً أن أخبركم اكثر من هذا عن مريم وابنها ، ولكن وان طلع الحسك في حلقي، ووصلت كلماتي اليكم وصول الكسيح الذي يدب على العصا ، فأنا أود أن أقص عليكم ما رأيته وسمعته .

كانت السنة فخورة بشبابها ، وكانت شقائق النعمان تزين رؤوس التلال عندما دعا يسوع تلاميذه وقال لهم ، « تعالوا معي الى اورشليم وشاهدوا ذبح الخروف للفصح . »

وفي ذلك اليوم بعينـه جاءت مريم الى بابي وقالت ، « انه ذاهب الى المدينة المقدسة . فهل لك أن تذهبي وتتبعيـه معي ومع بقية النساء ؟ . »

وللحال سرنا على تلك الطريق الطويلة وراء مريم وابنهـا حتى وصلنا الى أورشليم . وهنالك حيّتنا جماعة الرجال والنسـاء على بوابة المدينة ، لأن مجيئه كان قد أُعلن من قبل لأصحابه وأحبابه .

ولكن يسوع ترك المدينة في تلك الليلة مع أصحابه .

وقد أخبرونا أنه ذهب الى بيت عنيا .

فأقامت مريم معنا في الفندق تنتظر رجوعه .

وفي مساء الخميس التالي القوا القبض عليـه خارج الاسوار ، وسجنوه .

وعندما سمعنا أنه سجين ، لم تنطق مريم بكلمـة قط ، ولكن ظهر للحال في عينيهـا تحقيق خفيّ لذلك الوعد بالألم والفرح الذي رأيناه عندما كانت عروساً في الناصرة .

انها لم تبكِ . ولكنها كانت تمشي بيننا فقط كأنهـا روح أم لا تريد أن تنتحب على روح ابنها .

فجلسنا منحنيات على الارض ، أما هي فكانت منتصبة وهي تروح وتجيء على أرض الغرفة .

وكانت تقف بين الهنيهة والهنيهة أمام النافذة وتحدق بنظرها في الشرق ، ثم تسرّح شعرها بأصابع يديها .

وعند الفجر بقيت واقفة بيننا ، كأنها علَم يخفق في قفر لا جحافل فيه .

قد بكينا لأننا عرفنا ما يحمله الغد لابنها ، أما هي فانها لم تبكي لأنها عرفت أيضاً ما سيصيبه .

كانت عظامها من صُلب النحاس وقوتها من الدردار القديم ، وكانت عيناها كالسماء اتساعاً وشجاعة .

عمرك اللهَ ، هل رأيت قُبَّرةً تنشد في حين أن عشها يحترق في الهواء ؟

وهل رأيت امرأة تفيض كآبتها على دموعها ، أو قلباً مجروحاً يرتفع حتى يسمو على ألمه ؟

انك لم ترَ مثل هـذه المرأة لانك لم تقف في حضرة مريم ، ولم تحتضنك بعد الأم الغير المنظورة .

في تلك الساعة الهادئة التي كانت حوافر الصمت تضرب فيها على صدور الأرقين ، دخل يوحنا ، الابن الأصغر لزبدي ، وقال :

« أيتها الأم مريم ، ان يسوع ذاهب . فهلمي نتبعه . »

فوضعت مريم يدها على كتف يوحنا وخرجت معـه ، ونحن تبعناها .

وعند ما وصلنا الى برج داود رأينا يسوع حاملا صليبه . وكان جمع غفير حواليه

وكان معه رجلان آخران يحملان كلٌّ صليبه .

وكان رأس مريم مرتفعاً ، وكانت تمشي معنا وراء ابنها . وكانت خطواتها ثابتة .

وقد مشت وراءها صهيون ورومية . بل العالم أجمع ، لينتقم لنفسهِ مع الرجل الحرّ الواحد .

وعندما وصلنا الى التلة رفعوه على الصليب .

فنظرتُ الى مريم . فلم يكن وجهها وجه امرأة حزينة . بل كانَ أشبه بمنظر الارض المثمرة التي تلد أولادها بغير انقطاع وتقبرهم بلا ملل .

ثم عرضت صورة تذكارات صبْوته أمام عينيها ، فقالت بصوت عظيم ، « يا ابني ، الذي ليس ابناً لي ، أيها الرجل الذي زار بطني مرةً ، انني أفاخر بقوتك . انني أعرف أن كل نقطة من الدم الجاري من يديك ستكون ينبوعاً تتكون منه أنهار أمَّة بأسرها .

أنت تموت الآن في هذه العاصفة ، كما مات قلبي مرة في غروب الشمس ، ولذلك لن أحزن عليك . »

في تلك اللحظة رغبت في تغطية وجهي بوشاحي لاهرب راجعة الى الشمال . ولكنني فجأة سمعت مريم تقول ، « يا ابني الذي ليس ابناً لي ، ما الذي قلته للرجل الذي على يمينك فجعله سعيداً

في آلامه ؟ ان ظل الموت ضعيف على وجهه ، وهو لا يستطيع أن يحول عينيه عنك .

« أنت تتبسم لي الآن ، وهذه الابتسامة تدلني على انك قد غلبت العالم . »

فنظر يسوع الى أمه وقال لها ، « يا مريم ، كوني منذ الساعة أماً ليوحنا . »

وقال ليوحنا ، « كن ابناً محباً لهذه الامرأة . اذهب الى بيتها وليعبر ظلك تلك العتبة التى طالما جلست عليها . اصنع هذا لذكري. »

فرفعت مريم يمينها نحوه ، فبدت كأنها شجرة ذات غصن واحد ، ثم صرخت قائلةً ، « يا ابنى ، الذي ليس ابناً لي ، اذا كان هذا من الله فليعطنا الله صبراً ومعرفة لحقيقته . واذا كان من الانسان فليسامحه الله الى الابد .

« اذا كان هذا من الله فان ثلج لبنان سيكون لك كفناً ، واذا كان من هؤلاء الكهنة والجنود فقط فان لي هذا الثوب لعريتك .

« يا ابنى ، الذي ليس ابناً لي ، ان ما يبنيه الله ههنا لا يمكن أن يزول ، وكل ما يهدمه الانسان سيظل مبنياً – ولكن في نظر اسمى من نظر الانسان . »

في تلك الدقيقة أسلمته السماوات للأرض – صوتاً ونسمةً حية .

ومريم أيضاً أسلمته للانسان – جرحاً وبلسماً .

فقالت مريم ، « انظروا الآن فقد مضى . قد انتهت المعركة . وأعطى الكوكب نوره . قد وصلت السفينة الى الميناء . والذي اتكأ فيما مضى على قلبي يتموّج الآن في الفضاء . »

واذ دنونا منها ، قالت لنا ، « انه حتى في الموت نفسه يتبسم . قد غلب العالم . ويسرّني جداً أن اكون أمّاً للغالب . »

ثم رجعت مريم الى أورشليم متكئة على ذراع يوحنا التلميذ الصغير .

وكانت امرأة قد تحققت آمالها .

* * *

وعندما وصلنا الى بوابة المدينة ، تأملت في وجهها فأخذ الدهش بمجامع قلبي ، لأن رأس يسوع في ذلك اليوم كان أرفع من رؤوس جميع الرجال ، ومع ذلك فان رأس مريم لم يكن أقل منه ارتفاعاً .

حدث كل هذا فى فصل الربيع .

ونحن اليوم فى فصل الخريف . وقد رجعت مريم أم يسوع الى بيتها وهى تقطن فيه وحدها .

* * *

منذ سبتين كان قلبي جامداً كالصخرة في صدري ، لأن ابني تركني وسافر الى صور يطلب سفينة . لأنه يريد أن يكون ملاحاً .

وقد قال لى انه لن يرجع اليَّ

وفى أحد الامساء سرت الى مريم .

وعندما دخلت الى بيتها كانت جالسة أمام نولها ، وهى لا تلمسه لأنها كانت تتأمل في السماء البعيدة وراء الناصرة .

فقلت لها ، « السلام عليك يامريم . »

فمدت يدها الي وقالت ، « هلمي فاجلسي الى جانبي نراقب الشمس وهي تسكب دمها على التلال .

فجلست بجانبها على المقعد،وكنا نتأمل فى الغرب من خلال النافذة وبعد هنيهة قالت مريم ، « انني لاأدري من يصلبُ الشمس في هذا المساء . »

فقلت لها ، « قد جئتك اطلب تعزية. ان ابني قد تركني وذهب الى البحر ، وأنا وحدي في البيت في عبر الطريق . »

فقالت مريم ، « انني أود ان أعزيك ، ولكن أنَّى لي ذلك؟»

فقلت ، « اذا تكلمت عن ابنك فقط فأنني أتعزى .

فتبسمت مريم ووضعت يدها على كتفي وقالت ، « انني سأتكلم عنه . لأن مايعزيك انما يحمل لي منتهى التعزية . »

فأخذت تحدثني ملياً عن يسوع ، وعن جميع ماكان منذ البدء ويلوح لي انها لم تفرق ابنها عن ابني في كل حديثها .

فقد قالت لي ، « ان ابني هو ملاح كابنك . فلماذا لا تسلمين ابنك لحنان الأمواج كما سلمت ابني ؟

« ستبقى المرأة ابداً رحماً ومهداً ، بيد انها لن تكون رمساً . نحن نموت لكي نعطي حياة للحياة ، كما أن اصابعنا تحوك من الخيوط ثوباً لن نلبسه أبداً .

« ونحن نلقي الشبكة لنمسك السمك الذي لن نأكله .

« لأجل هذا نكتئب ونحزن ، ولكن في جميع هذا فرحنا وغبطتنا بهذا حدثتني مريم .

فتركتها ورجعت الى بيتي ، ومع أن نور النهار كان قد ولّى ، فقد جلست الى نولي أحوك القماش الذي لن البسه .



— يوسف الملقب بيوستوس —

(يسوع الهائم)

يقولون انه كان دنيئاً ، وثمرة خاملة لزرع خامل ، ورجلاً فظاً غليظاً

ويقولون أن الريح فقط كانت تمشط شعره ، وأن المطر فقط كان يغسل وجهه وثيابه .

ويقولون انه كان مجنوناً وينسبون اقواله للشياطين .

ولكن انظروا أيها الناس ، ان هذا الرجل الذي احتقروه قد استنهد اعداءه ، ولن ينقطع صوت مناهدته ، لأنه ما من بشر يستطيع أن يقف في وجهه .

قد أنشد انشودة ولا يستطيع أحد ان يقيّد حريتها . فهي ترفرف بأجنحتها من جيل الى جيل ، وتنهض من محيط الى محيط حاملة ذكرى الشفتين اللتين ولدت في احضانهما والاذنين اللتين كانتا لها مهداً .

قد كان غريباً . نعم نعم كان غريباً هائماً في طريقه الى المقام المقدس ، وكان زائراً يقرع أبوابنا ، وضيفاً من بلاد بعيدة .

بيد أنه لم يجد بيننا مضيفاً عطوفاً ، ولذلك رجع الى المكان الذى أُعدّ له منذ انشاء العالم .

فيلبس

وعندما مات ماتت الانسانية كلها

عندما مات حبيبنا ماتت الانسانية كلها وسكن كل ما في الفضاء وامتقع لونه . فالشرق اظلم ، وهبت من اعماقه عاصفة هوجاء اجتاحت كل الأرض . وكانت عيون السماء تنفتح وتنطبق ، وتساقطت الامطار أنهاراً فجرفت الدم الجارى من يديه ومن قدميه .

وأنا ايضاً متُّ مع المائتين . وفي اعماق غفلتي سمعته يتكلم ويقول « ياأبتاه اغفر لهم ، لأنهم لايدرون مايفعلون . »

وقد طلب صوته روحي المختنقة فارجعنى الى الشاطيء ثانية .

ففتحت عيني ورأيت جسده الناصع البياض معلقاً أمام السحاب وقد تجسدت الكلمات التى سمعتها منه في اعماق قلبي فصرت رجلا جديداً . ولم أعرف طعم الكآبة فيما بعد .

فمن يحزن على البحر الذى يحسر القناع عن وجهه ، أو الجبل الذى يضحك في الشمس ؟

هل خطر على قلب بشرٍ ، وقد طُعن ذلك القلب ، أن يقول مثل هذه الكلمات ؟

وأى قاض من قضاة البشر صفح عن قضاته ؟ وهل سبق

للمحبة في كل أدوارها أن تغلبت على البغض بمثل هذه القوة الواثقة بذاتها

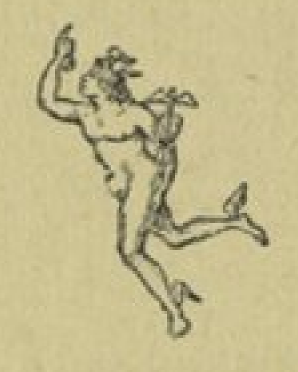
وهل سمعتْ الانسانية صوتاً كصوت هذا البوق الصارخ بين الارض والسماء ؟

هل سُمع من قبل أن القتيل يسترحم لقاتليه ؟ أو ان الشهاب يوقف سيره من أجل الخلد ؟

أجل ، ستنقضي الفصول وستطوى السنون قبل أن يزول من الأرض أثر هذه الكلمات : « يا أبتاه ، اغفر لهم ، لأنهم لايدرون مايفعلون . »

وأنا وأنت، وإن وُلدنا المرة بعد المرة ،فاننا لن ننسى هذه الكلمات

وها أنا الان أمضى الى بيتى لأقف متسوّلاً رفيع الرأس على بابه



بربارة اليمونية

(يسوع اللجوج)

كان يسوع صبوراً على الحمق والبُلداء، كما ينتظر الشتاء الربيع.

كان صبوراً كالجبل في الريح.

فكان يجاوب بلطف على جميع المسائل البليدة التي وجّهها اليه أعداؤه.

وكثيراً ما كان يصمت امام المماحكة والمغالطة، لأنه كانْ قوياً، وفي منال القوي أن يكون طويل الاناة.

ولكن يسوع كان أيضاً قليل الصبر.

فانه لم يطق صبراً على المرائين.

ولم يسلّم سلاحه لمشعوذي الكلام والخبثاء.

ولم يكن في طوق انسان أن يسود عليه.

انه لم يصبر على الذين أنكروا النور لأنهم كانوا يعيشون في الظل؛ والذين طلبوا علامات في السماء وكان الأجدر بهم أن يطلبوها في قلوبهم.

ولم يكن صبوراً على الذين وزنوا النهـار وقاسوا السماء قبل أن أسلموا أحلامهم للفجر والمساء .

كان يسوع صبوراً .

ولكنه كان أقل الناس صبراً .

فهو يريد منك أن تحوك الثوب ولو أنفقت أعواماً بين النول وخيوط الكتان .

ولكنه لم يأذن لأحد أن يمزّق قيراطاً واحداً من النسيج الذي تمّت حياكته





— زوجة بيلاطس الى امرأة رومانية —

(المحبة والقوة)

كنت أمشي مع وصيفاتي في الغـابات خارج اورشليم عندما رأيته مع بضعة رجال ونساء جالسين حوله ؛ وكان يخاطبهم بلغـة لم أفهم سوى نصفها .

ولكن الانسان لا يحتاج الى لغةٍ لكي يرى عموداً من النور أو جبلاً من البلور . فالقلب يعرف ما لا ينطق به اللسان وما لا تسمعه الآذان .

كان يخاطب أصحابه عن المحبة والقوة . انني أعرف انه تكلم عن المحبة لأنه كان في صوته لحن شجيّ ؛ وأعرف انه تكلم عن القوة لأن جيوشاً جرارة كانت تسـير مع اشاراته . وكان لطيفاً ، وأنا لا أعتقد ان زوجي نفسـه يستطيع أن يتكلم بالسلطان الذي تكلم به هذا الانسان .

وعندما رآني مارّة به توقف عن الكلام هنيهةً ونظر اليَّ بلطف فاتضعت روحي امام نظرته ؛ وادركت في أعماق نفسي انني مررت بالاه .

وبعد ذلك اليوم كانت صورته تزورني في وحدتي عند ما لم يزرني أحدٌ من الرجال أو النساء ؛ وكانت عيناه تنفذان الى أسرار نفسي وأنا مغمضة العينين . وكان صوته سيداً في هدوء لياليّ .

انني سجينة سحر هذا الرجل الى الأبد ؛ ولكن السلامة في آلامي ، والحرية في دموعي .

أنت لم تنظري ذلك الرجل ، يا صديقتي ، ولن تنظريه .

فقد اختفى عن حواسنا ، ولكن هو أقرب اليّ اليوم من جميع الرجال .



رجل خارج اورشليم

يهوذا الاسخريوطي

جاء يهوذا الى بيتي في تلك الجمعة العظيمة، في مساء عيد الفصح، وقرع بابي بعنف شديد.

وعندما دخل نظرت اليه فاذا وجهه كالرماد. وكانت يداه ترتجفان كالاغصان اليابسة في الريح، وكانت ثيابه مبللة كأنه خارج من النهر، لأنه في ذلك المساء حدثت عواصف عظيمة

فنظر إليَّ فبانت عيناه كالكهوف المظلمة الممتلئة بالدم.

فقال، « قد أسلمت يسوع الناصري الى أعدائه واعدائي. »

ثم فرك يديه وقال، « قد أعلن يسوع أنه سيقهر جميع أعدائه، وأعداء أمتنا. فآمنت وتبعته.

« وعندما دعانا اليه وعدنا بمملكة قديرة وسيعة، ونحن بايماننا شددنا أزره لننال المراكز الرفيعة في بلاطه.

« فرأينا أنفسنا أمراء نعامل هؤلاء الرومانيين بما عاملونا. وقد تكلم يسوع كثيراً عن مملكته، حتى اعتقدت انه اختارني قائداً لمركباته، ورئيساً لجنده. ولذلك تبعت خطواته برضى وطمأنينة.

« بيد أنني وجدت أخيراً أنه لم يطلب مملكة، ولم يقصد أن

بحررنا من الرومانيـين . لان مملكته لم تكن سوى مملكة القلب . وكنتُ أسمعـه يتكلم عن المحبة والرحمة والاحسان ، وكانت نساء الشوارع تصغي اليه بلهفـة وفرح شديد ، أما أنا فقد تمرمرت روحي وتحجر قلبي .

« فان ملك اليهودية الذي وعدت به نفسي تحول فجأة الى ضارب على القيثارة ليسكن حدة أفكار الهائمين والمتشردين .

« فقد أحببته كما أحبه غيري من أبناء عشيرتي . ورأيت فيه رجاء وعتقاً من نير الغرباء . ولكنه عندما لم يتلفظ بكلمة ولم يحرّك يداً لتحريرنا من ذلك النير ، وعندما تطرّف فأعطى ما لقيصر لقيصر ، حينئذ ملأ اليأس زوايا قلبي وقضت جميع آمالي . فقلت في سري : ان من يقتل آمالي سيقتل ، لأن آمالي هي أثمن من حياة أي رجل كان . »

ثم صرّف بأسنانه ، وحنى رأسـه . وعندما تكلم ثانية قال ، « قد أسلمته . وقد صلبوه في هذا اليوم . . . . وعنـدما مات على الصليب مات ملكا . فقد مات في العاصفة كما يموت المنقذون ، وكما يموت العظماء الذين يعيشون فوق الاكفان والحجارة .

« وفي كل وقت موته كان ممتلئاً بالعطف واللطف ، وكان قلبه يفيض رحمة . فقد أشفق عليّ وأنا الذي سلّمته ! »

فقلت ، « قد أخطأت يا يهوذا خطأ فظيعاً . »

فأجاب يهوذا ، « قد مات ملكاً . فلماذا لم يعش ملكاً ؟ »
فقلت أيضاً ، « قد اقترفت جريمة هائلة . »

فجلس هنالك ، على ذلك المقعد ، وكان صامتاً كالصخر .

أما أنا فكنت أسير ذات اليمين وذات اليسار في الغرفة ، ثم قلت له ثالثة ، « قد اقترفت خطيئة عظيمة . »

ولكن يهوذا لم يقل كلمة . بل ظل صامتاً كالأرض .

وبعد هنيهة وقف ونظر في وجهي فبدا لي أطول مما كان ، وعندما تكلم كان صوته كالسفينة المتحطمة ، وقال ، « لم تكن الخطيئة في قلبي . وفي هذه الليلة سأمضي وأطلب ملكوته ، وسأقف في حضرته والتمس صفحه .

« فهو قد مات ملكاً ، أما أنا فسأموت كخائن . ولكن قلبي يحدثني بأنه سيغفر لي » . وبعد أن قال هذا لف جسده بعباءته جيداً وقال ، « حسناً فعلتُ بمجيئي اليك في هذه الليلة . وان كنت قد عملت على ازعاجك ، فهل لك أن تغفر لي أيضاً ؟

« قل لأولادك وأولاد أولادك : ان يهوذا الاسخريوطي أسلم يسوع الناصري الى أعدائه لاعتقاده أن يسوع كان عدواً لامته

« وقل أيضاً ان يهوذا في نفس اليوم الذي ارتكب فيه هذه الخطيئة العظمى تبع الملك الى درجات عرشه ليسلّم نفسه للمحاكمة .

« فسأخبره ان دمي أيضاً مشيق للتراب وروحي المخلّعة تنشد الحرية » .

ثم أمالَ يهوذا رأسه وأسنده الى الحائط وصرخ قائلاً : « أيها الرب الذي لا ينطق أحد باسمه حتى تقبض أصابع الموت على شفتيه، لماذا حرقتني بنار لا نور فيها ؟

« لماذا أعطيت الجليليّ شوقاً لأرض غير معروفة ، وأثقلت كاهلي برغبة لا تتعدى البيت والموقدة ؟ ومن هو هذا الرجل يهوذا الملطخة يداه بالدم ؟

« أعضدني لأطرده عني — ثوباً بالياً وسلاحاً رثاً .

« ساعدني لأفعل هذا في هذه الليلة ، ودعني أقف ثانية خارج هذه الجدران

« قد سئمت هذه الحرية المقصوصة الجناح . وأحب سجناً أعظم من هذا .

« أحب أن أجري كجدول من الدموع الى البحر المرّ . أحب أن اكون رجلاً يتمتع برحمتك من أن اكون رجلاً يقرع على بوابة قلبه . »

هكذا تكلم يهوذا ، ثم فتح الباب وخرج الى العاصفة ثانية .

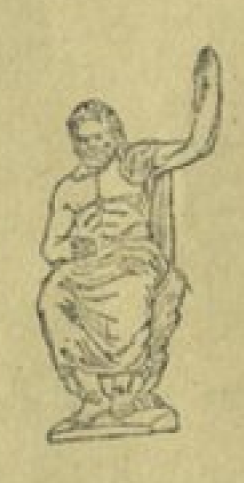
وبعد ثلاثة أيام زرت اورشليم وسمعت بكل ما حدث فيها .

وهنالك عرفت أيضاً أن يهوذا رمى نفسه من قمة الصخرة العالية .

قد فكرت كثيراً منذ ذلك اليوم ، وأنا أفهم سرّ يهوذا . فقد كمّل حياته الصغيرة ، التي تحركت كالضباب فوق هذه الارض المستعبدة من الرومانيين ، في حين أن النبي العظيم كان يُصعِّد في الاعالي .

فالرجل الواحد تاقت نفسه الى مملكة يكون فيها أميراً .

أما الرجل الثاني فقد أراد مملكة يكون فيها جميع الناس امراء .





سركيس الراعى اليونانى الشيخ
« الملقب بالمجنون »

يسوع والاله بان

رأيت فى حلم يسوع الناصري والهي (بان) جالسين معاً فى قلب الغابة .

وكان كل منهما يضحك من خطاب رفيقه ، وكان الجدول الجاري أمامهما يضحك معهما ، ولكن ضحك يسوع كان اكثر بهجةً . وقد تحدثا طويلاً .

فتكلم (بان) عن الأرض واسرارها ، وعن اخوته ذوي الحوافر واخواته ذوات القرون ؛ وعن الاحلام . وتكلم عن الجذور وسكونها ، وعن العُصارة التي تستيقظ وتنهض مترنمة في الصيف .

وتكلم يسوع عن الأغصان الصغيرة في الغابة ، وعن الزهور والاثمار ، وعن البذور التي ستحملها في فصل لم يأت بعد .

وتكلم عن الطيور في الفضاء وتغريدها في العالم العلوي .

وأخبرنا الهنا عن الايائل البيضاء في الصحراء ترعاها عينا القدير .

وقد سُرَّ (بان) بحديث الاله الجديد وارتعشت مشامُّه غبطة .

وفي نفس الحلم رأيت الصمت مخيماً على بان ويسوع وقد جلسا صامتين في سكينة الاظلال الخضراء .

ثم أخذ (بان) زَمّارته وزمّرَ ليسوع .

وكانت الاشجار تهتز والخشار يرتعش ، فتولاني خوف شديد .

فقال يسوع ، « ايها الأخ الصالح ، قد جمعت معابر الاحراج وقنن الصخور في زَمّارتك . »

فأعطى (بان) الزمارة ليسوع وقال ، « زمّر انت الآن . فقد جاءت نوبتك . »

فقال يسوع ، « ان القصب فى هذه الزمارة كثيراً على فمي . فاسمح لي أن أزمر في هذا المزمار » .

فأخذ مزماره وشرع يزمر فيه .

فسمعت وقع المطر في الاوراق ، وترنيم الجداول بين التلال وسقوط الثلج على رأس الجبل .

ونبضُ قلبي ، الذي اتخذ ضربه من الريح ، عاد ثانية الى الريح ، وتراجعت جميع أمواج أمسي الى شاطئي ، فصرت ثانية سركيس الراعي ، وتحول مزمار يســوع الى نايات رعاة لا عديد لهم يدعون قطعاناً لا تعد ولا تحصى .

فقال (بان) ليســوع ، « أنت أقرب في شبابك الى الموسيقى مني في شيخوختي . وفي سكوني قبــل هذا اليوم بوقت طويل قد سمعت أنشودتك وذكرى اسمك .

« ان صوت اسمك صالح عذب ، وهو سينهض بقوة مع العصارة الى الاغصان ، وسيركض بعزم مع الحوافر بين التلال .

« وهو ليس بالاسم الغريب عليّ ، مع ان أبي لم يدعني بذلك الاسم . ان مزمارك قد أعاده الى ذاكرتي .

« والآن هلمّ بنا نزمر معاً . »

فشرعا يزمّران معاً .

وقد ضربت موسيقاهما السماء والارض ، فوقع الرعب على جميع الاحياء .

فسمعت عجيج الحيوانات ومجاعة الغابة . وسمعت صراخ المستوحشين من الناس وشكوى الذين يتوقون الى ما لا يعرفون .

وسمعت تنهدات العذراء على حبيبها ، ولهاث الصياد وراء صيده

ثم رجع السلام الى موسيقاهما ، فترنمت السماء والارض معاً .

كل هذا رأيته في حلمي ، وكل هذا سمعته .



حنانيا رئيس الكهنة

قال يسوع من السفر

كان من السفلة، لصاً ودجالاً وضارباً بالبوق لنفسه. ولم يحسن الا في عيون المدنسين والمعدمين، ولذلك لم يسر الا في مسالك الملطخين والفاسدين.

وقد سخر منا ومن شرائعنا؛ وهزأ من شرفنا وضحك من وقارنا. وتمادى في غوايته فقال انه يهدم الهيكل ويدنس الاماكن المقدسة. انه لم يعرف عيباً، ولاجل هذا قضي عليه بموت معيب.

كان رجلاً من جليل الامم، وأجنبياً من تلك البلاد الشمالية التي ما زال أدونيس وعشتروت ينازعان اسرائيل وإله اسرائيل السيادة عليها.

ان ذلك الذي كان يتلعثم لسانه وهو ينطق بخطب أنبيائنا صار أخيراً مرتفع الصوت وهو يتكلم بلغة النغول للأدنياء والسفهاء من أتباعه.

فهل كان في طوقي الا أن أحكم عليه بالموت؟

ألستُ أنا حارس الهيكل؟ الست أنا حافظ الشريعة؟ وهل كنتُ قادراً أن أدير له ظهري، قائلاً بكل طمأنينة: «انه مجنون

بين المجانين . دعه وشأنه حتى يقضي في هذيانه ؛لأن المجانين والحمق والذين تقطنهم الشياطين لا يقدمون ولا يؤخرون في طريق اسرائيل ؟ »

هل كنتُ قادراً أن أصمّ اذني عن سماع صوته عندما دعانا كذّابين ومرائين وذئاباً ، وحيّات ، وأولاد الأفاعي ؟

الا انني لم أقدر أن أصم اذني عن سماعه لأنه لم يكن مجنوناً . فقد كان مجذوباً بغرور نفسه ، فحمله هذا الغرور الجنونيّ على تهديدنا ومناهدتنا جميعاً .

لأجل هذا أمرت بصلبه ، ليكون صلبه ناصحاً ونذيراً لجميع الذين ختموا انفسهم بخاتمه اللعين .

انني أعرف جيداً أن كثيرين أنحوا عليّ باللائمة على هذا العمل ، وفريق منهم من أعضاء السنهدريم أنفسهم . ولكنني أدركت آنئذٍ كما أدرك الآن ، أن رجلاً واحداً يجب أن يموت عن الأمة قبل أن يضلّل الأمة بأسرها .

قد غُلبت اليهودية من عدو خارجيّ . ولكنني سأرى ألاّ تُقهر اليهودية ثانية من عدوٍ داخليّ .

فما من رجل من الشمال الملعون يستطيع أن يصل الى قدس أقداسنا أو يمرّ بظله على تابوت العهد المقدس .

——○○○——

امرأة من جارات مريم

(مرثاة)

في اليوم الاربعين بعــد موته ، جاءت جميع جارات مريم الى بيتها ليعزينها وينشدن مراثيهن .

وقد أنشدت واحدة منهن هذه المرثاة :

الى أين يا ربيعي الى أين ؟

والى أي فضاء آخر يتصاعد عبيرك ؟

وفي أي حقل آخر ستمشي ؟

والى أية سماء سترفع رأسك لتتكلم بما في قلبك ؟

ستقفر هذه الأودية ، ولن يكون لنا غير الحقول الجرداء القفراء.

ان جميع الأشيـاء الخضراء ستحترق في الشمس ، ولن تنتج بساتيننا سوى التفاح الحامض ، وكرومنا لن تحمل غير العنب المرّ .

سنعطش لخمرتك ، وستحنّ مشامّنا لعطرك .

٭٭٭

الى أين يا زهرة ربيعنا الأول ، الى أين ؟

أفلنْ ترجع الينا ؟

أفلن يزورنا ياسمينك ، ولن ينبت بخور مريم روحك في جوانب طرقنا ليخبرنا بأننا نحن أيضاً لنا جذور عميقة في الأرض ، وان أنفاسنا الغير المتقطعة ستظل صاعدة الى السماء أبداً ؟

***

الى اين يا يسوع ، الى أين يا ابن جارتي مريم ورفيق ابني الحبيب ؟ .

الى اين ، يا ربيعنا الأول ، والى أيّ الحقول الأخرى تسير ؟

هل ترجع الينا ثانية ؟

وهل تزور ، في مدّ محبتك ، الشواطىء العقيمة لأحلامنا ؟



آحاز الجسيم صاحب الفندق

(العشاء قبل الفصح)

اني أذكر جيداً المرة الأخيرة التي رأيتُ فيها يسوع الناصري. فقد جاءني يهوذا عند ظهر ذلك الخميس، وطلب إليّ أن اعدّ عشاء ليسوع وأصدقائه.

وقد أعطاني قطعتين من الفضة وقال لي، « اشترِ كل ما تراه لازماً للعشاء. »

وبعد أن تركنا قالت لي زوجتي، « ان هذا بالحقيقة لشرف عظيم » لأن يسوع صار نبياً عظيماً، وقد اجترح ايات وعجائب كثيرة.

وعند الشفق جاء يسوع واتباعه، وجلسوا في العلية حول المائدة ولكنهم صمتوا كأن على رؤوسهم الطير.

وقد جاءوا في العام الماضي وفي العام الذي سبقه ولكنهم كانوا في ذلك الوقت فرحين. فكسروا الخبز وشربوا الخمر وترنموا بترانيمنا القديمة، ولم ينقطع يسوع عن محادثتهم حتى نصف الليل.

وبعد ذلك كانوا يتركونه وحده في العلية، ويذهبون ليناموا في غرف أخرى، لأنه كان يرغب في الانفراد بعد نصف الليل.

وكان يظل مستيقظاً الليل بطوله ، لانني كنت أسمع وقع خطواته وأنا مضطجع في فراشي .

ولكن في هذه المرة الأخيرة لم يكن سعيداً لا هو ولا أصدقاؤه.

وكانت زوجتي قد أعدت سمكاً من البحيرة ، ودراريج من حوران حشتها بالأرز وحبوب الرمان ، واحضرتُ أنا لهم جرّة من خمرة سروتي .

ثم تركتهم لأنني شعرت بأنهم راغبون في أن يكونوا وحدهم .

وقد أقاموا في العلية حتى خيّم الظلام ، ثم انحدروا جميعهم معاً من العلية ، ولكن يسوع وقف هنيهة عند قدمي السلم ، فنظر اليّ والى زوجتي ، ثم وضع يده على رأس ابنتي وقال ، « ليلتكم سعيدة جميعاً. انا سنأتي ثانية إلى عليتكم ، ولكننا لن نترككم بمثل هذه الساعة الباكرة . وسنبقى معكم حتى تشرق الشمس فوق الأفق .

« قريباً نعود اليكم ونطلب منكم مزيداً من الخبز والخمر . فقد أحسنتم ضيافتنا وسنذكركم اذا أتينا الى بيتناوجلسنا الى مائدتنا . »

فقلت له ، « قد كان لي الشرف في خدمتك يا سيدي . ان بقية أصحاب الفنادق يحسدونني على زيارتكم ، فاضحكُ منهم مفتخراً في ساحة المدينة . وفي بعض المرّات ابرم وجهي عليهم . »

فقال ، « يجب أن يفتخر جميع أصحاب الفنادق بالخدمة . لأن الذي يعطي الخبز والخمر هو أخ لذلك الذي يحصد ويجمع اغمار

الحبوب ويحملها الى البيدر ، وأخ لمن يعصر الخمرة في المعصرة . وأنتم جميعكم كرماء ، لأنكم تعطون من خيركم حتى لمن يأتي اليكم ولا شيء لديه سوى جوعه وعطشه . »

حينئذ التفت يهوذا الاسخريوطي الذي كان يحمل كيس الجماعة ، وقال له ، « اعطني شاقلين . »

فأعطاه يهوذا شاقلين وقال له ، « هذه آخر قطع من الفضة في كيسي . »

فنظر اليه يسوع وقال له ، « قريباً جداً سيمتلىء كيسك فضة . »

ثم وضع الشاقلين في يدي وقال ، « اشترِ بهذا المال منطقة حريرية لابنتك ومُرْها أن تلبسها في عيد الفصح تذكاراً لي . »

قال هذا ونظر الى وجه ابنتي ثانية ، وانحنى وقبل جبينها . ثم قال ثانية ، « ليلتكم سعيدة جميعاً . »

وسار في طريقه .

يقولون لي ان ما قاله لنا قد دوّنه أحد أصدقائه على رقّ عنده ، ولكنني أعدته على مسامعكم كما سمعته من شفتيه .

انني لا أنس ما حييت رنة صوته وهو يقول هذه الكلمات ، « ليلتكم سعيدة جميعاً . »

فاذا أردتم أن تعرفوا أكثر من هذا عن النبي الجديد فاسألوا ابنتي . فهي امرأة الآن ولكنها لا تبدل تذكارات صباها بمال الأرض كلها . وهي أكثر استعداداً للكلام مني .

باراباس

(كلمات يسوع الأخيرة)

قد أطلقوني واختاروه . اما هو فنهض ، وأما أنا فسقطت .

وقد قبضوا عليه ضحية وتقدمة للفصح .

قد تحرّرتُ من قيودي ، ومشيت على الجمع وراءه ، ولكنني كنتُ رجلاً حياً يسير إلى قبره .

كان الأليق بي أن أهرب إلى الصحراء حيث يحترق العار باشعة الشمس .

ولكنني مشيت مع الذين اختاروه ليحمل جريمتي .

وعندما سمروه على الصليب كنت واقفاً هناك .

وقد رأيت وسمعت ولكن ما يُدرك فيَّ كان خارج جسدي .

فقال له اللص الذي صُلب عن يمينه ، « وأنت تُنزف دماؤك معي يا يسوع الناصري ؟ »

فأجاب يسوع وقال ، « انني لولا هذا المسمار المغروس في يدي لكنت أمد يميني وأصافحك .

« اننا قد صُلبنا معاً . و ياليتهم رفعوا صليبك ليكون قريباً من صليبي . »

ثم نظر إلى الارض وتأمل في وجه أمه وفي وجه شاب كان واقفاً بجانبها وقال ، « يا أمي ، هوذا ابنك واقف بجانبك .

«يا امرأة ، هوذا الرجل الذي سيحمل نقط دمي إلى بلاد الشمال»
وعند ما سمع نواح نساء الجليل قال، تأملوا . فهنّ يبكين وأنا اعطش .
« قد رفعوني كثيراً فلا أستطيع أن اصل إلى دموعهن .
« انني لن أشرب الخل والمرارة لاطفىء نار هذا العطش . »
ثم انفتحت عيناه فنظر نحو السماء وقال، «يا أبتاه ، لماذا تركتنا؟»
وبعد أن سكت هنيهة قال ، والرحمة تملأ صوته ، « يا ابتاه ، اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ما يفعلون . »

وعندما تلفظ بهذه الكلمات ظهر لي أنني أرى أمام عيني جميع الناس ساجدين أمام الله يطلبون مغفرة عن صلب هذا الرجل الواحد.

ثم صرخ ثانيـة بصوت عظيم : « يا أبتاه ، في يديك استودع روحي ! »

وأخيراً رفع رأسه وقال ، «قد انتهى .ولكن على هذه التلة فقط» وأغمض عينيه .

فمزقت سهام البرق وجه السماء الأسود ، وحدث رعد عظيم .

. . . .

انني أعرف اليوم ان الذين قتلوه عوضاً عني قد عملوا على عذابي الذي لن ينتهي .

لأن صلبه لم يأخذ سوى ساعة واحدة .

أما أنا فسأظل مصلوباً إلى نهاية أيامي .

كلوديوس قائد المئة الروماني

بسوع القائد العظيم

بعد أن قبضوا عليه دفعوه اليّ . وكان بيلاطس البنطي قد أمرني أن اوقفه حتى الصباح التالي .

قاده جنودي اسيراً وكان طائعاً لهم .

وعند انتصاف الليل تركت زوجتي وأولادي وسرت لزيارة دار الأسلحة . وكانت لي عادة أن اذهب وافتقد رجال حاميتي في اورشليم لأرى ان كل شيء على ما يرام ؛ وفي تلك الليلة زرت دار الأسلحة لأنه كان سجيناً فيها .

وكان جنودي وبعض من فتيان اليهود يتلهون بالهزء به . فاذا بهم نزعوا عنه ثوبه ، ووضعوا اكليلاً من شوك السنة الماضية على رأسه .

واجلسوه أمام عمود وكانوا يرقصون ويصرخون حوله .

واعطوه قصبة ليمسكها بيده .

واذ دخلت عليهم صرخ أحدهم وقال ، « انظر ملك اليهود أيها القائد . »




فوقفت أمامه ونظرت اليه ، وللحال شعرت بخجل عظيم . انني لم أدرِ لذلك سبباً .

فقد حاربت في غاليا وفي اسبانيا ، وخضت غمرات الموت مع رجالي . ولكنني لم أعرف الخوف ، وقطُّ لم أكن جباناً . ولكنني عندما وقفت أمام ذلك الرجل ونظر الي هلع قلبي وفارقتني شجاعتي . وشعرت بأن شفتي قد ختمتا ختماً محكماً فلم أقدر ان أتلفظ بكلمة .

فتركت دار الأسلحة من فَوْرِي .

حدث هذا منذ ثلاثين سنة . وأولادي الذين كانوا أطفالاً في ذلك الوقت هم رجال الآن . وهم يخدمون القيصر وروميه .

ولكنني كلما أردت نُصحهم احدثهم عن ذلك الرجل، الذي كان وهو يلفظ انفاسه الأخيرة أمام الموت يلتمس الرحمة والغفران لقاتليه .

ها أنا اليوم شيخ طاعن في السن . وقد عشت أعوامي مكتفياً من كل شيء . ولكنني أعتقد انه لم يكن لا لپومپاي ولا لقيصر من روح القيادة العظيمة ما كان لهذا الرجل الجليلي .

لأنه منذ موته الذي جرى بدون مقاومة قد نهض من الأرض جيش جبار ليحارب في سبيله . . . . . وهم يخدمونه ، مع انه ميت ، بما لم يحلم لا بومباي ولا قيصر بالحصول عليه من جنودهما في حياتهما.



يعقوب اخو الرب

العشاء الأخير

ألفَ مرة قد زارتني ذكرى تلك الليلة . وأعرف الآن أنها ستزورني ألف مرة أخرى .

ستنسَ الأرض الاقلام المشقوقة في صدرها ، وستنس المرأة الألم والفرح اللذين في ولادة الأولاد ، أما أنا فانني لن أنس تلك الليلة ما حييت .

كنا في المساء خارج أسوار أورشليم ، فقال يسوع ، « لنذهب الآن إلى المدينة لنتعش في الفندق » .

وكان الظلام قد خيم عندما وصلنا إلى الفندق ، وكنا جياعاً ، فحيانا صاحب الفندق وصعد بنا الى علية .

فطلب الينا يسوع أن نجلس حول المائدة ، اما هو فظل واقفاً ، يحدّق بعينيه فينا .

فخاطب حافظ الفندق وقال له ، « احضر لي طستاً وابريقاً ممتلئاً ماء ، ومنشفة . »

ثم نظر الينا أيضاً وقال بلطف ، « اخلعوا نعالكم . »

فلم نفهم ، ولكننا عملاً بأمره خلعنا نعالنا .

فاحضر صاحب الفندق الطست والابريق ، فقال يسوع ، « سأغسل أرجلكم الآن . لأنه يجدر بي أن أحرّر اقدامكم من غبار الطريق القديمة ، وامنحها حرية الطريق الجديدة . »

فتولانا جميعاً منتهى الدهش والخجل .

فوقف سمعان بطرس وقال ، « كيف اقدر أن ازعج معلمي وربي ليغسل قدميّ ؟ »

فأجاب يسوع ، « انني أغسل رجليك لكي تتذكر ان الذي يخدم الناس سيكون أعظم من جميع الناس . »

ثم نظر الى كل واحد منا وقال : « ان ابن الانسان الذي اختاركم اخوةً له ، ذلك الذي دُهنَتْ قدماه في الأمس بطيوب العربية ونُشِّفت بشعر امرأة ، يرغب الان في ان يغسل أرجلكم . »

فأخذ الطشت والابريق وركع وغسل أرجلنا مبتدأ بيهوذا الاسخريوطيّ .

ثم جلس معنا الى المائدة ، وكان وجهه كالفجر المشرق على معركة بعد ليلة كفاح سالت فيها الدماء .

فجاء صاحب الفندق مع زوجته يحملان الطعام والخمر .

ومع انني كنت جائعاً قبل أن ركع يسوع على قدمَي ، فانني أضعتُ كل شهية للطعام . وكان في حلقي لهيب مقدس لم أشأ أن أطفيه بالخمرة .

ثم أخذ يسوع رغيفاً من الخبز وأعطانا قائلاً ، « قد لا نكسر الخبز معاً فيما بعد ؛ فلنأ كل هذه الكسرة تذكاراً لأيامنا في الجليل»
ثم صبَّ خمراً من الجرَّة في كأس وشرب ، وأعطانا قائلاً ، « اشربوا هـذه الخمرة تذكاراً للعطش الذي عرفناه معاً . واشربوها أيضاً على رجاء العصير الجديد . فاذا ذهبت ولم اكن معكم فيما بعد ، فكلما اجتمعتم هنا أو في أي مكان آخر ، اكسروا الخبز واسكبوا الخمرة وكلوا واشربوا كما تفعلون الان . ثم انظروا حواليكم فلعلكم تجدوني جالساً معكم إلى المائدة . »

وبعد أن قال هذا شرع يوزع علينا قطعاً من السمك والدُرَّاج كما يطعم الطير فراخه .

ومع أننا لم نأكل إلا القليل فقد اكتفينا ، ولم نشرب سوى نقطة صغيرة ، لأننا شعرنا بأن الكاس التي أمامنا كانت فضاء بين هذه الأرض وأرض أخرى .

فقال يسوع ، « فلننهض قبل أن نترك هـذه المائدة ولنترنم بأناشيد الفرح التي ترنمنا بها في الجليل . »

فنهضنا وانشدنا بصوت واحد ، ولكن صوته كان أرفع من أصواتنا ، وكانت في كل كلمة من كلماته رنَّة خاصة .

فنظر إلى وجوهنا كلاً بمفرده وقال ، « استودعكم الآن . لنذهب إلى ما وراء هذه الجدران . لنذهب الى الجثمانية . »

فقال يوحنا بن زبدي ، « يا معلم،لماذا تستودعنا في هذه الليلة؟»

فأجاب يسوع وقال ، « لا تضطرب قلوبكم . فأنا لا أترككم إلاّ لأعدّ لكم مكاناً في بيت أبي . ولكن إذا احتجتم اليّ فانى أرجع اليكم ، وحيث دعوتمونى أسمعكم ، وحيثما طلبتني أرواحكم فهنالك أكون معكم .

« ولا تنسوا أن العطش يقود إلى المعصرة،والجوع الى وليمة العرس

« ان حنينكم يحملكم إلى ابن الانسان . والحنين هو ينبوع الوَجْد المقدس والطريق المؤدية إلى الأب . »

فقال له يوحنا ثانية ، « اذا كنت بالحقيقة ستتركنا فكيف نهتدي الي مسراتنا ؛ ولماذا تتكلم عن الانفصال ؟ »

فقال يسوع ، « ان الظبي المطارَد يعرف سهمَ الصياد قبل أن يشعر به في صدره ، والنهر يعرف البحر قبل أن يصل الى شاطئه ، وابن الانسان قد سافر في طرائق الناس .

وقبل أن تُخرج شجرة اللوز براعمها في الشمس ستطلب جذور شجرتي قلب حقل آخر . »

فقال سمعان بطرس ، « يامعلم لا تتركنا الآن ،ولا تحرمنا مسرة حضورك بيننا . فاننا نمضى حيث تمضي ونقيم حيث تكون مقيماً . »

فوضع يسوع يده على كتف سمعان بطرس ، وتبسّم وقال له ،

« من يدري اذا كنت لا تنكرني قبل انتهاء هذه الليلة ، وتتركني قبل أن اتركك ؟ »

ثم قال فجأةً ، « لنمضِ من هنا . »

فترك الفندق وتبعناه . ولكن عند ما وصلنا الى بوابة المدينة ، لم نجد يهوذا الاسخريوطي معنا . فعبرنا وادي جهنَّم . وكان يسوع يتقدمنا ونحن نمشي بعضنا بجانب بعض .

واذ بلغنا بستان الزيتون وقف والتفت بنا وقال ، « استريحوا هنا ساعة . »

وكان المساء بارداً ، مع ان الربيع كان في انتصافه وكانت أشجار التوت قد أورقت وأشجار التفاح في كمال زهرها . وكانت البساتين جميلة .

فطلب كل واحد منا جذع شجرة واتكأنا . أما انا فاضطجعت تحت صنوبرة ملتفاً بردائي .

أما يسوع فتركنا ومشى وحيداً في بستان الزيتون . وكنت أراقبه وجميع الرفاق الآخرين نيام .

فكان تارةً يقف فجأة بهدوء عجيب ، ثم لا يلبث أن يسير في البستان ذهاباً واياباً . وقد فعل هذا غير مرة .

ثم رأيته يرفع وجهه نحو السماء ويبسط ذراعيه الى الشرق والغرب .

فقد قال مرةً ، « ان السماء والأرض والجحيم نفسه كلها من

الانسان .» فتذكرت قوله ، وأدركت ان الذي كان يتخطر أمامي في بستان الزيتـون هو السماء صارت انساناً ؛ وفكرت ان رحم الأرض لا هو بالبداءة ولا بالنهاية ، بل هو بالأحرى مركبة ومحطة ؛ ولحظة عجب ودهشة ؛ وقد رأيت الجحيم ايضاً ، في الوادي المعروف باسم جهنم ، الذي كان قائماً آنئذ بين يسوع والمدينة المقدسة .

وفيما كان واقفاً هنا لك وأنا ملتف بثوبي على الأرض ، سمعته يتكلم . ولكنه لم يكن يتكلم معنا . ثلاث مرات سمعتـه يتلفظ بكلمة « الآب » . وهذا كان كل ما سمعته .

وبعد هنيهة سقطت ذراعاه ، فوقف هادئاً كأنه سروة بين عيني وبين السماء .

أخيراً رجع الينا وقال لنـا ، « استيقظوا وانهضوا . فقد دنت ساعتي ، وقد خرج العالم عليّ مسلحاً للمعركة . »

وبعد قليل قال ، « منذ هنيهـة سمعت صوت أبي . فاذا لم انظركم ثانية ، فتذكروا ان الغالب لا يتمتع بالسلام حتى ينغلب . »

وعندما نهضنا ودنونا منه كان وجهه كالسماء المرصعة بالنجوم فوق الصحراء .

ثم قبّل كل واحد منا في وجنته . وعندما قبّل وجنتي شعرت بأن في شفتيه من الحرارة نفس ما في يد الطفل المحموم .

وفيما نحن على هذا سمعنـا ضجيجاً عظيماً في آخر البستان كأنه

ضجيج جمع غفير ، وعندما قرب منا رأينا جماعة من الرجال يتقدمون بمصابيح وعصيّ . وكانوا قادمين بسرعة .

وعندما وصلوا الى سياج البستان . تركنا يسوع وذهب ليستقبلهم . وكان يهوذا الاسخريوطي يقودهم .

وكان الجمع يتألف من جنود رومانيين بسيوف وحراب ، ورجال من اورشليم بنبابيت وفؤوس .

فتقدم يهوذا الى يسوع وقبّله . ثم قال للرجال المسلّحين ، « هذا هو الرجل . »

فقال يسوع ليهوذا ، « قد صبرت عليّ يا يهوذا . لأن هذا كان ممكناً لك في الأمس . »

ثم التفت بالرجال المسلّحين وقال ، « خذوني الآن . ولكن انظروا أن يكون قفصكم كبيراً ليسع هذه الأجنحة . »

فهجموا وقبضوا عليه وكانوا يصيحون ويضجّون .

أما نحن فقد حملنا الخوف على الهرب للخلاص منهم . فركضتُ وحدى بين أشجار الزيتون ، ولم أفكر فى أحد ، لأنني لم أسمع في تلك الساعة صوتاً غير صوت مخاوفي .

وفي أثناء الساعات القليلة التي تبقّت من تلك الليلة كنت هارباً متستراً ، وعند الصباح وجدت نفسي في قرية قريبة من أريحا .

فلماذا تركته ؟ انني لا أدري . ولكنني حزين لأني تركته . فقد برهنت على جبانتي بهربي من أعدائه .

واذ غمرني عار خجلي وندمي رجعت الى اورشليم فاذا هو سجين ولا يُسمح لأحد من أصدقائه أن يكلمه .

ثم صلبوه ، فصنع دمه ترابًا جديداً للارض .

أما أنا فما زلت حياً ؛ ولكنني انما احيي متغذيًا بقرص العسل الذي جَنَتْهُ حياته .



سمعان القيرواني

كيف حملت صليبه

كنت اسير في طريقي الى الحقول عندما رأيته حاملاً صليبه ؛ والجماهير تتبعه .

فمشيت أنا ايضاً في جانبه .

وقد أوقفه ثقل حمله غير مرّة ، لأن قوته كانت قد نفذت .

فتقدم الي أحد جنود الرومان وقال ، « تقـدم ، فأنت قويّ العضلات متين البناء ، فاحمل صليب هذا الرجل . »

وعندما سمعت هذه الكلمات رقص قلبي طرباً وفرحت بهذه الفرصة .

فحملت صليبه شاكراً .

وكان الصليب ثقيلاً ، لأنهم صنعوه من خشب الحور المُشرَب بأمطار الشتاء .

فنظر يسوع اليّ ، وكان عرق جبينه ينسكب جارياً على لحيته .

ثم نظر اليّ ثانية وقال ، « وأنت ايضاً تشرب هذه الكأس ؟ انك بالحقيقة ستمتصّ حافتها معي الى منتهى الدهور . »

واذ قال هذا وضع يده على كتفي الحرّة . وهكذا مشينا معاً الى تلة الجمجمة .

ولكنني بعد أن وضع يده على كتفي لم أشعر بثقل الصليب قط. بل كنت اشعر بيده فقط . وكانت كجناح الطير على كتفي .

ثم بلغنا رأس التلة ، حيث اعدّوا كل شيء ليصلبوه .

حينئذ شعرت بثقل الشجرة .

بيد انه لم يتفوه بكلمة عندما غرزوا المسامير في يديه ورجليه ، ولم تخرج من فمه صرخة واحدة .

وأعضاؤه لم ترتجف تحت طرقات المطرقة .

وقد خيل اليّ أن يديه ورجليه كانت قد ماتت وهي ترجع آنئذٍ الى الحياة مستحمةً بالدماء . وأما هو فكان ينشد المسامير كما ينشد الأمير صولجانه ؛ وكان شيقًا للارتفاع الى الأعالي .

ولم يخطر لقلبي أن يشفق عليه لأن الذهول كان يملأُ كياني .

وها ان الرجل الذي حملت صليبه صار لي صليبًا .

فاذا قالوا لي ثانية ، « احمل صليب هذا الرجل ، » فاني لاحملهُ بملء الرضى حتى تؤدي بي طريقي الى قبري .

ولكنني التمس منه آنئذ أن يضع يده على كتفي .

قد حدث هذا منذ أعوام عديدة؛ ولكنني كلما تبعتُ الثلم في حقلي، وكلما غالبني النعاس قبل النوم، أفكر بغير انقطاع في ذلك الرجل الحبيب. وأشعر بيده المجنحة ، هنا ، على كتفي اليسرى .

سيبوريه ام يهوذا

﴿ تصف ابنها واطواره ﴾

كان ابني رجلاً فاضلاً مستقيما . وكان لطيفاً رقيقاً في معاملتي ، وقد أحب أهله ومواطنيه ، وأبغض أعداءنا ، الرومانيين الملاعين ، الذين يرتدون الملابس الارجوانية مع أنهم لا يغزلون خيطاً ولا يجلسون إلى نول ، ويحصدون ويجمعون من غير أن يفلحوا أو يبذروا بذاراً .

كان ابني في السابعة عشرة فقط عندما قبضوا عليه يرمي الحامية الرومانية بنباله وهي تمرُّ بكرمنا .

وفي ذلك العمر كان يحدّث أترابه من فتيان البلاد بمجد اسرائيل ، وينطق أمامهم بأقوال وخطب عجيبة لم أفهمها .

وكان ابناً محباً ، وكان وحيداً .

فقد شرب الحياة من هاتين الثديين الناشفتين الآن ، ومشى خطواته الأولى هنا فى هذا البستان ، متمسكاً بهذه الأصابع التي هى اليوم كالقصبات المرتجفة .

بهاتين اليدين ، اللتين كانتا آنئذ فتيتين طريتين كعنب لبنان ،

قد خبأتُ حذاءه الأول في منديل من الكتان كانت قد أهدته اليّ أمّي. ومازلت أحتفظ به في تلك الخزانة التي بجانب النافذة .

كان بكراً لي،وعندما مشى خطواته الأولى ،شعرت أنا أيضاً بأنى أخطو خطوتى الأولى .لأن النساء لا يسافرن الا مقودات بأولادهن .

والآن يقولون لي أنه مات منتحراً ، فقد رمى نفسه من الصخرة العالية لأن ضميره وبخه على تسليمه صديقه يسوع الناصري .

انني أعرف ان ابني قد مات . ولكنني واثقة بان ابني لم يسلّم أحداً ، لأنه أحب أبناء جنسه ولم يبغض أحداً غير الرومانيين .

كان لابني ضالة واحدة وهي مجد اسرائيل ، فلم يكن في أقواله أو أفعاله موضوع غير هذا الموضوع .

وعندما تعرّف إلى يسوع على الطريق تركني ليتبعه . أما أنا فقد عرفت في أعماق قلبى أنه يخطيء إذا تبع أى انسان . لأنه خُلق ليكون متبوعاً لا تابعاً .

وقبل أن يودعنى أخبرته بخطأه فلم يصغ اليّ .

أن أولادنا لا يصغون الى نصائحنا ، فهم أشبه بمدّ البحر في اليوم لا يلتمسون النصح من مد الامس .

أرجو من فضلكم ألا تسألونى ثانية عن ابنى .

فقد أحببته وسأحبه الى الأبد .

ولو كانت المحبة فى اللحم لكنت أحرقه بالحديد الحامي وأحظى بسلامتي . ولكنها في النفس فلا يُبْلغ اليها .

والآن أنقطعُ عن الكلام . فاذهبوا واسألوا أمًّا أكثر شرفاً من أم يهوذا .

اذهبوا الى أم يسوع . فقد جاز السيف فى قلبها أيضاً ، وهى تخبركم عنى فتفهمون .

امرأة من جبيل

مرثاة

ابكين معي يا بنات عشتروت ، ويا كل محبّي تموز .

مُزْنَ قلوبكن فتذوب وتنهض فتجري كالدم دموعاً ،

لأن الذي صُنع من الذهب والعاج لم يبق في الوجود .

فقد هجم عليه الخنزير البري في الغابة المظلمة ومزق جسده بأنيابه .

والآن فهو يضطجع ملطخاً مع أوراق الأعوام المنصرمة ، ولن يوقظ وقع خطواته البزور الهاجعة في حضن الربيع .

ان صوته لن يأتي مع الفجر الى نافذتي ، وسأعيش وحيدة ابداً .

. . . .

ابكينَ معي يا بنات عشتروت ، ويا كلَّ محبّي تموز ، لأن حبيبي قد أفلت مني . ذلك الذي تكلم كما تتكلم الأنهار ، ذلك الذي كان صوته وزمانه توأمان ، ذلك الذي كان فمه ألماً ملتهباً فتحوّل الى عذوبة لذيذة ، ذلك الذي كانت المرارة تتحول على شفتيه الى شهد العسل .

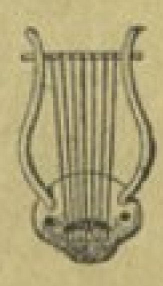
. . . .

ابكين معي يا بنات عشتروت ، ويا كل محبّي تموز .

ابكين معي حول نعشه كما تبكي النجوم ، وكما تتساقط أوراق القمر على جسده الجريح .

بللن بدموعكن أغطية فراشي الحريرية ، حيث استراح حبيبي مرةً في حلمي ، ثم ابتعدَ عني في يقظتي .

استحلفكنَّ يا بنات عشتروت ، ويا كل محبّي تموز ،
اسندْنَ صدوركنَّ وابكينَ وعزّينني ،
لأن يسوع الناصري قد مات .



مريم المجدلية

بعد ثلاثين سنة

مرةً ثانية أقول ان يسوع، بالموت غلب الموت، ونهض من القبر روحاً وقوة . وقد مشي في وحدتنا وزار بساتين وَجْدنا ومحبتنا .

فهو لا يضطجع هنالك في تلك الصخرة المنحوتة وراء الحجارة .

فنحن الذين نحبه قد رأيناه بهذه العيون التي فتح بصيرتها لترى، ولمسناه بهذه الأيدي التي علمها كيف تتبسط .

انني أعرفكم أنتم الذين لا تؤمنون به . فقد كنت منكم ، وأنتم كثيرون ، ولكن عددكم سيتناقص .

فهل يجب أن تكسروا عودكم وقيثارتكم لتشاهدوا الموسيقى فيها؟

أو هل يجب أن تقطعوا الشجرة قبل أن تقدروا على الايمان بأثمارها ؟

أنتم تبغضون يسوع لأن رجلاً من بلاد الشمال قال انه ابن الله . ولكنكم تبغضون بعضكم بعضاً لأن كل واحد منكم يحسب نفسه أكبر من أن يكون أخاً للآخر .

أنتم تبغضونه لأن فريقاً قالوا انه وُلد من عذراء ، وليس من زرع رجل .

ولكنكم لا تعرفون الأمهات اللواتي يذهبن الى القبر في عذريتهن ، ولا الرجال الذين يذهبون الى قبورهم مختنقين بعطشهم .

أنتم لا تعرفون ان الأرض زُفَّتْ الى الشمس ، وان الأرض هي التي تبعثنا الى الجبل والى الصحراء

ان هنالك خليجاً يتثاءب بين الذين يحبون يسوع والذين يبغضونه ، بين الذين يؤمنون و بين الذين لا يؤمنون .

فاذا بنت الأعوام جسراً فوق هذا الخليج فحينئذ ستعرفون ان الذي عاش فينا لا يموت ، وانه كان ابناً لله كما اننا نحن ايضاً أبناء الله ، وانه قد وُلد من عذراء ، كما اننا نحن ايضاً قد وُلدنا من الأرض التي لا زوج لها .

غريب عجيب كيف ان الأرض لا تعطي غير المؤمنين الجذور التي ترضع من ثدييها ، والأجنحة التي بها يطيرون محلقين ليشربوا ، ويمتلئوا من ندى فضائها .

بيد انني أعرف ما أعرف ، وفي هذا كفاية لي .



— رجل من لبنان —

(بعد تسعة عشر قرناً)

يا سيّد المرنمين ،

يا سيد الكلمات التي لم يُنطق بها ،

سبع مراتٍ قبل وُلدتُ ، وسبع مرات قد متُّ بعد زيارتك المستعجلة وترحيبنا القصير .

وها أنا احيي ثانيةً ، متذكراً العهد الذى رفعنا فيه مَدُكَ يوماً واحداً وليلةً واحدة بين التلال .

وبعد ذلك قد قطعتُ أرضاً كثيرة وبحاراً كثيرة ،

وحيثما حملتني خيول الأرض أو سفن البحر كنت أرى اسمك .

اما صلاةً ترتفع من القلب أو موضوعاً لمجادلة يقوم بها الفكر .

والناس حزبان ، حزب يباركك وحزب يلعنك ،

أما اللعنة ، فمربون الاحتجاج على الفشل ،

وأما البركة ، فترنيمة الصياد الراجع من التلال ظافراً غانماً .

. . . .

ان اصدقاءك ما زالوا فى وسطنا ، لتعزيتنا وعضدنا ،

وأعداؤك أيضاً معنا ، لقوتنا وتثبيت إيماننا .

وأمك معنا : فقد رأيت نور وجهها فى محيا جميع الأمهات ، ان يدها تهز الاسرة بلطف ، وتطوي الأكفان بعطف.

ومريم المجدلية لا تزال فى وسطنا ،

تلك التي شربت خل الحياة ثم خمرتها .

ويهوذا ، رجل الآلام والمطامح الصغيرة، ما زال يمشي فى أرضنا، وهو ما برح يصطاد نفسه ، إذا لم يجد غيرها صيداً ، طالباً ذاته الكبرى بالانتحار .

. . . .

ويوحنا ، الذى أحب شبابه الجمال ، هو معنا ،

وهو ينشد ألحانه وان لم يصغ اليه أحد .

وسمعان بطرس الشديد ، الذى أنكرك لتطول حياته فى معرفتك ، هو أيضاً جالس أمام مواقدنا .

وهو قد ينكرك ثانية قبل مرور فجر يوم آخر ،

بيد أنه أبداً مستعد أن يُصلب فى سبيل مبادئك حاسباً نفسه غير مستحق لهذا الشرف .

وقيافا وحنان ما زالا يتمتعان بنور يومهما ، ويحكمان على المجرم والبرىء .

وهما ينامان على فراش من الريش، فى حين ان الذي حكما عليه تلعب السياط على ظهره .

. . . .

والمرأة التي أُمسكتْ بالزنى تمشي اليوم في شوارع مدننا ، وهي تجوع للخبز الذي لم يخبز بعـد ، وتعيش وحيدة في بيت فارغ .
وبيلاطس البنطي هنا أيضاً ، فهو واقف باحترام أمامك ، ولا يزال يسألك ، بيدَ أنه لا يجرؤ أن يعرّض بمركزه أو يقاوم أمة أجنبية ، وحتى الساعة لم يفرغ من غسل يديه . وحتى الساعة تحمل أورشليم الطست وروميةُ الابريق ، وبين الاثنين تنتظر ألف ألف يد لتغتسل.

☆☆☆☆☆

يا سيد الشعراء ، يا سيد ما قيل وما أنشد من الكلام ،
قد بنى الناس الهياكل لسكنى اسمك ،
وعلى كل قنة رفعوا صليبك ، علامةً ودليلاً لأقدامهم الهائمة ، وليس لمسرة روحك .
فان مسرتك تلة وراء أفكارهم ولذلك لا تعزيهم .
فهم يحبون أن يكرموا الرجل الذي لا يعرفونه .
وأية تعزية في رجل نظيرهم ، ورأفته كرأفتهم ،
أو في إله محبته كمحبتهم ، ورحمته هي رحمتهم ؟
انهم لا يكرمون الرجل ؛ الرجل الحيّ ، الرجل الأول الذي فتح عينيه ونظر إلى الشمس بأجفان غير مرتعشة .

ألا انهم لا يعرفونه ولا يريدون أن يكونوا مثله .

. . . .

انهم يريدون أن يكونوا مجهولين ، وأن يمشوا فى موكب الغير المعروف .

انهم يحبون أن يحملوا الكآبة التي هى كآبتهم ، ولذلك لا يريدون أن يجدوا تعزية فى مسرتك .

وقلبهم الوجيع لا ينشد التعزية التى فى أقوالك وانشودتها .

أما آلامهم ، الصامتة المخاصة ، فانها تجعلهم مخلوقات مستوحشة لا يزورها أحد .

ومع أنهم يعيشون مع أهلهم وأبناء أمتهم ، فهم يعيشون خائفين ولا صديق لهم ، ولكنهم لا يحبون أن يكونوا وحدهم .

وإذا هبت الريح الغربية ينحنون الى الشرق .

انهم يدعونك ملكاً ، ويريدون أن يجلسوا فى بلاطك .

ويقولون انك أنت ماسيا ، بيد أنهم يريدون أن يمسحوا أنفسهم بالزيت المقدس .

ألا انهم يريدون أن يعيشوا على حسابك .

٭ ٭ ٭

يا سيد المرنمين ،

قد كانت دموعك كشآبيب المطر فى ايار ،

وكان ضحكك كأمواج البحر الأبيض .

وعندما تكلمت عبّرت كلماتك عن همس بعيد لشفاههم ، فى الوقت الذى كان يجب على تلك الشفاه أن تستنير بالنار ،

فقد ضحكت للنُخاع فى عظامهم الذى لم يكن مستعداً للضحك

وبكيت لعيونهم التى لم تكن تعرف الدموع بعد .

وكان صوتك أباً عطوفاً لأفكارهم وأفهامهم .

بلى ، وكان اما رؤوماً لأقوالهم وأرواحهم .

٭ ٭ ٭

سبع مرات قد وُلدتُ وسبع مرات قد متُّ .

وها أنا احيى ثانية فاراك .

محارباً بين المحاربين. وشاعر الشعراء . وملكاً فوق جميع الملوك

ورجلاً نصفه عارٍ بين رفقائك من عابرى السبيل .

فى كل يوم يحني الاسقف رأسه عندما يتلفظ باسمك .

وفي كل يوم يقول المتسولون :

« من أجل المسيح ، اعطونا نحاسةً لنشتري بها خبزاً . »

نحن نتوسل بعضنا الى بعض،ولـكننا بالحقيقة لا نتوسل لغيرك ،

فنحن كالمد الفائض في ربيع حاجتنا ورغباتنا ،

وعندما يأتي خريفنا نصير كالجذر الشحيح .

فسواء كنا عظماء أو وضعاء فان اسمك على شفاهنا ،
أنت السيد الغير المتناهي ، للعطف الغير المتناهي .

* * *

يا سيد ساعاتنا المستوحشة ،
هنا وهناك ، بين المهد والكفن ، أرى اخوتك الصامتين ،
الرجال الأحرار الغير المقيدين ، أبناء أمك الأرض والفضاء .
فهم كطيور السماء ، وكزنابق الحقل .
وهم يحبون حياتك ويفكرون أفكارك ،
ويرجّعون صدى انشودتك .
ولكن أيديهم فارغة ،
ولا يُصلَبون مع الصلب العظيم ؛ وفي هذا ألمهم .
ان العالم يصلبهم في كل يوم ، ولكن بطرائق بسيطة .
فالسماء لا تهتز حين صلبهم ، والأرض لا تتمخض بأمواتها .
فهم يُصلَبون ولا أحد يشهد عذابهم .
ويديرون وجوههم الى اليمين والى الشمال ،
فلا يجدون أحداً ليعدهم بمركز في ملكوته .
بيد انهم يريدون أن يُصلبوا المرة بعد المرة ،
ليكون الاهك الهاً لهم ، وأبوك ابا لهم .

* * *

يا سيد المحبة ،

ان الأميرة تنتظر مجيئك في عليّتها المعطّرة ،

والمرأة المتزوجة الغير المتزوجة في قفصها ؛

المومس التي تَنْشُدُ خبزها في شوارع عارها ،

والراهبة التي لا زوج لها في صومعتها ،

والعاقر ايضاً على نافذتها ، تتأمل في صورة الغابة التي رسمها الصقيع على زجاج النافذة ، فتجدك في تناسب خطوطها ، فتُرضعك في أحلامها وتتعزى .

* * *

يا سيد الشعراء ،

يا سيد رغباتنا الصامتة ،

ان قلب العالم يخفق مع نبضات قلبك ، ولكنه لا يحترق مع اناشيدك. ان العالم يجلس ليصغى الى صوتك بفرح وطُمأنينة ، ولكنه لا ينهض عن مجلسه ليزين حافات تلالك .

والانسان يحلم حلمك ، ولكنه لا يستيقظ مع فجرك ، الذي هو أعظم من حلمك .

وهو يريد أن يرى ببصيرتك ، ولكنه لا يجر قدميه الثقيلتين الى عرشك .

بيد ان كثيرين أجلسوا على العرش باسمك ، وتوّجوا بقوتك ،
فحولوا زيارتك الذهبية الى تيجان لرؤوسهم وصوالجة لأيديهم .

* * *

يا سيد النور ،
الذي تقطن عيناه في أصابع العميان البصيرة ،
انك ما زلت تُحتقر ويُهزأ بك ،
رجلاً يحول ضعفك وسقمك دون صيرورتك الاهاً ،
والاهاً تحول انسانيتك المتناهية دون حصولك على العبادة .
انّ ما يقدمه الناس أمام عرشك من القداديس والترانيم ،
والأسرار والمسابح انما هو لأجل ذاتهم السجينة .
فأنت وحدك ذاتهم البعيدة ، وصراخهم الشاسع وشوقهم وحنينهم .

* * *

أيها السيد ، أيها القلب السماوي ،
يا بطل أحلامنا الذهبية ،
انك ما زلت تتخطر أمامنا في هذا اليوم ،
فلا السهام ولا الحراب تستطيع أن توقف خطواتك .
لأنك تمشي بين جميع سهامنا وحرابنا .
أنت تتبسم لنا من أعاليك ،

ومع انك أصغر من جميعنا سناً فأنت أبٌ لجميعنا ،

* * *

أيها الشاعر ،

أيها المرنم ،

أيها القلب الكبير ،

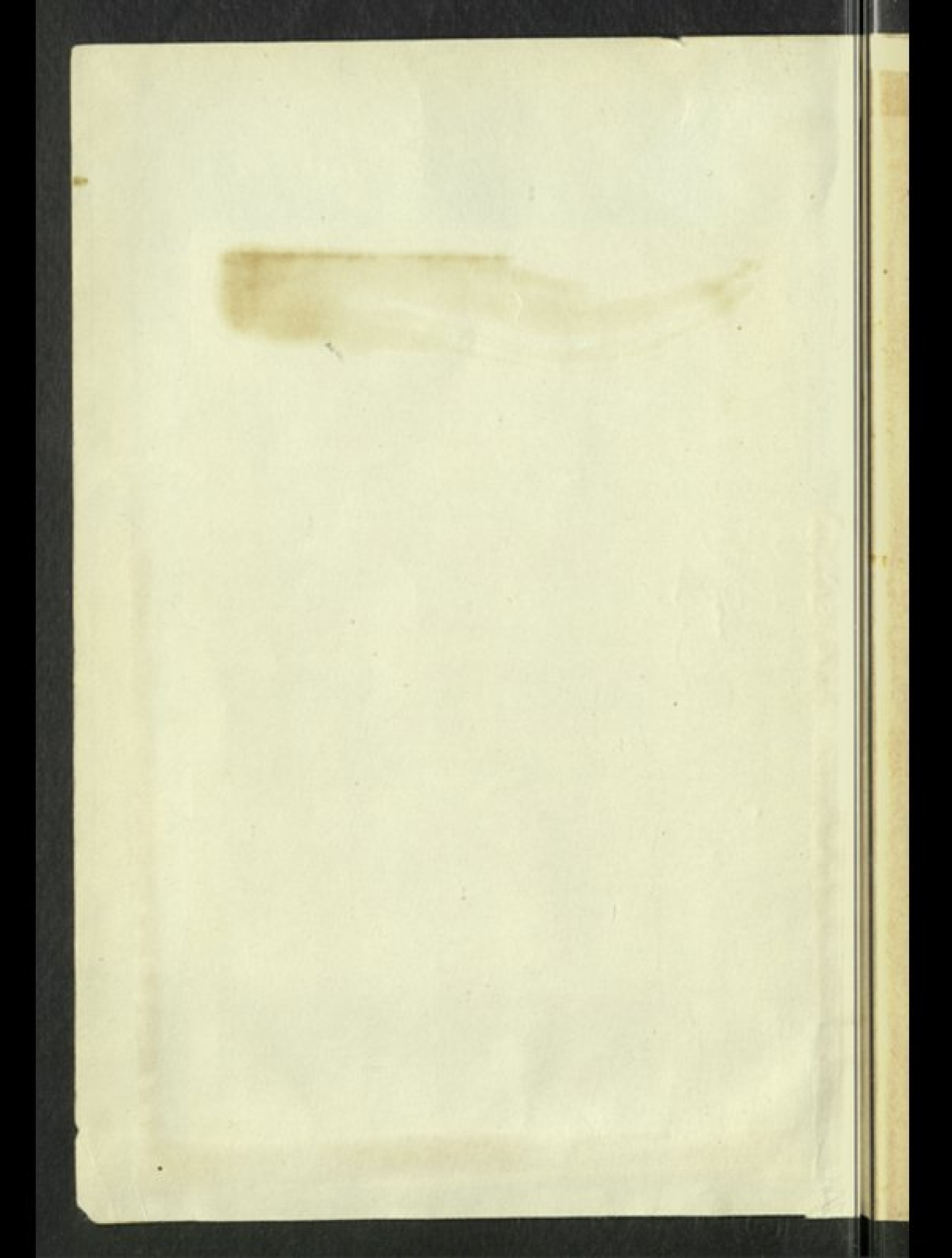
ليبارك الرب اسمك ،

والبطن الذي حملك ،

والثدي الذي ارضعك .

وليسامحنا الرب جميعاً .





DATE DUE



